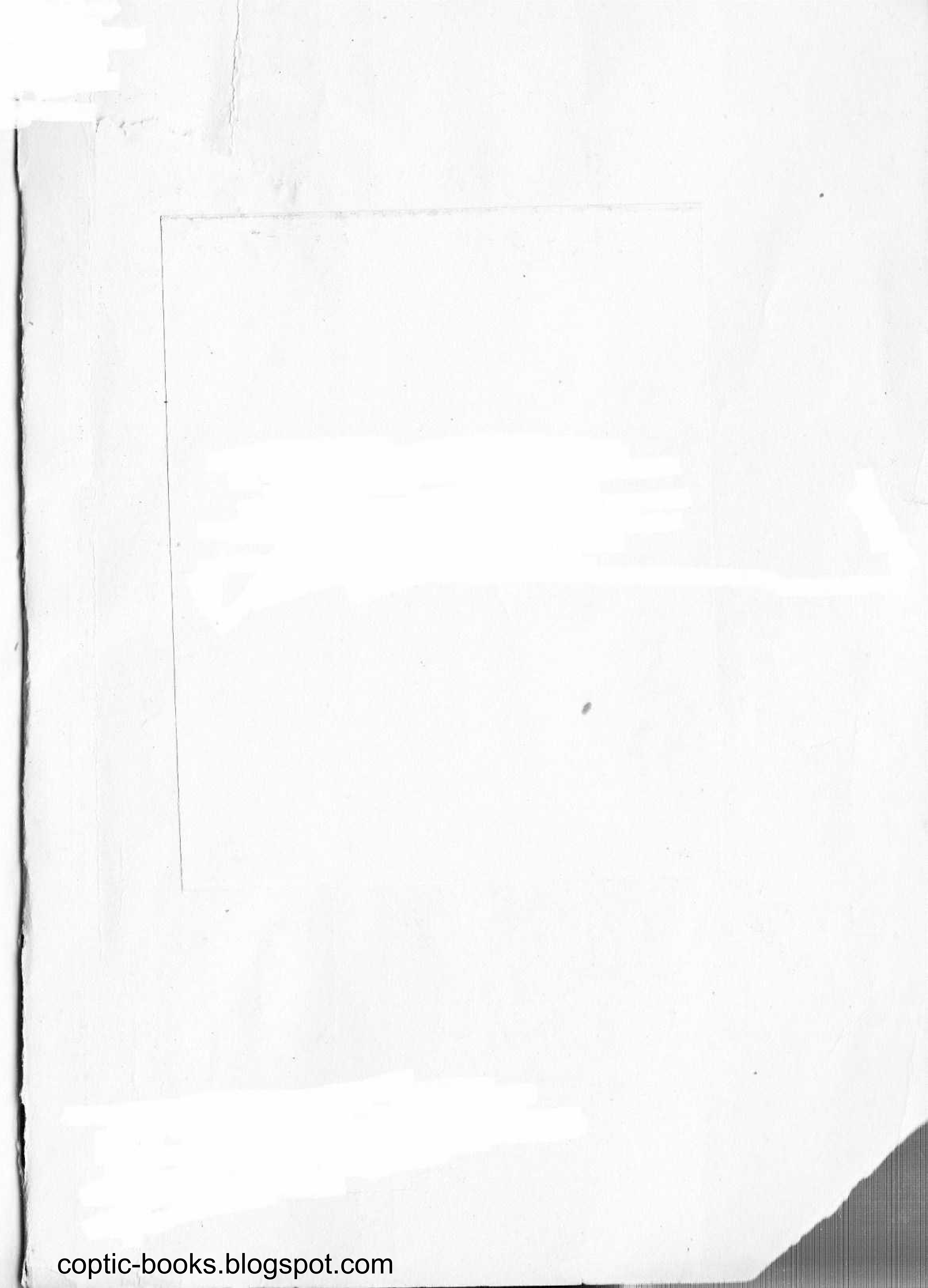

المسيح في
يوسيفوس
المؤرخ اليهودي
coptic-books.blogspot.com

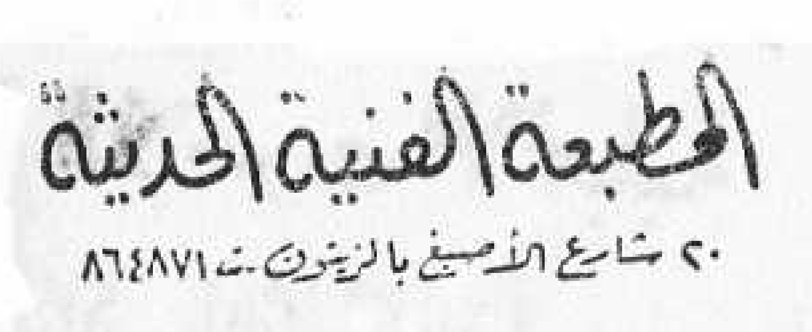


# المسيح في يوسيفوس المؤرخ اليهودي

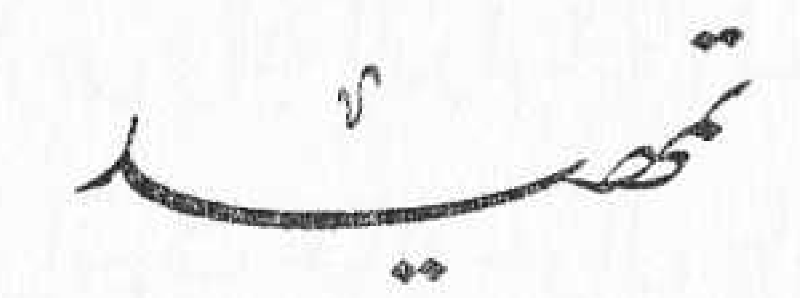
لخصه

دكتور عزت زكي

صدر عن دار التأليف والنشر
للكنيسة الأسقفية بالقاهرة


المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الأصبغ بالزيتون ت ٨٦٤٨٧١

# محتويات الكتاب



يوسيفوس مؤرخ يهودى عاصر فترة ظهور السيد المسيح وخدمته، وامتد به العمر إلى أحداث عام ٧٠ للميلاد ، حيث قام القائد الرومانى فاسباسيان ـ الذى قدر له فيما بعد أن يعتلى عرش القياصرة الرومان ـ ومن بعده ابنه تيطس ـ بإخضاع المدن اليهودية الثائرة . ولقد اشترك يوسيفوس فى الدفاع عن بلاده. واستطاع على رأس حامية صغيرة، أن يصمد للحصار الرومانى مدة سبعة وأربعين يوماً كاملة ، ويحتفظ طيلة هذه المدة بالمدينة اليهودية التى قام بالدفاع عنها. ولـكنه استسلم أخيراً، واحتفظ به الرومان أسيراً. وبطرقه الدبلوماسية تمكن من أن يكسب عطف تيطس، القائد الأعلى للقوات الرومانية، ويصبح صديقاً له، حتى أن تيطس خلع عليه لقب الأسرة الإمبراطورية ، فأضيف إلى اسمه لقب «فلافيوس» وأصبح مواطناً رومانياً .

ولقـد اشترك يوسيفوس فى حصار أورشليم ، وحاول جاهداً أن يقنع مواطنيه بالإستسلام للرومان ، دون جدوى ، إلى أن تم خراب أورشليم، وأحرق الهيكل، ونهبت بقاياه، فكان من نصيب يوسيفوس أسفار الهيكل الثمينة .

وبعد أن انتهت الحرب اليهودية ، اصطحب تيطس يوسيفوس إلى روما . وهناك كرس وقته للدراسة ، ولكتابة تاريخ مفصل عن اليهود ، وحروبهم . وانتهت حياته حوالى عام ١٠٠ للميلاد . وتعتبر المؤلفات التى كتبها يوسيفوس — وقد جمعت فى اكثر من عشرين كتيباً — المراجع الأولى التى يعتمد عليها المؤلفون فى تاريخ اليهود ، وخاصة فى فترة الحروب الأخيرة بينهم وبين الرومان .

وكيهودى متعصب لم يتحدث يوسيفوس كثيراً عن المسيح . ولكننا نستطيع أن نقرأ تلميحات خاطفة اليه بين السطور . وهذا الكتيب إن هو إلا محاولة لإقتباس هذه التلميحات ، ومقارنة ما ورد فيها بما جاء فى قصة بشائر الإنجيل .

وعلى وجه العموم نستطيع القول ان ادب القرنين الأولين للميلاد، لا يحوى الكثير من الإشارات إلى المسيحيين . وعدا ما ورد فى كتابات تاسيتوس ، وسوتينوس ، لا نجد شيئاً فى الأدب الرومانى .

ولقد كان الرومان يعتبرون المسيحية طائفة صغيرة من بين الطوائف اليهودية المتعصبة، التى كانوا يحتقرونها، ويضمرون لها البغضاء . كما أنه خلال هذه الفترة الأولى ، لم يكن للمسيحية من القوة ، والخطر ، ما يلفت اليها الأنظار . أما عن الكتاب اليهود ، فقد أغفلوا عمداً ذكر

أى شىء عن المسيحية ظناً منهم أنهم بهـذه الطريقة يقضون عليها ، ويقبرونها فى مهدها .

وهناك أحاديث فى التلمود عن المسيح ، ولـكنها تافهة لا تستند على أسس تاريخية، وتاريخها لاحق لتاريخ جمع أسفار التلمود، وكل ما قصد بها،حشو السباب، وتشويه الحقائق. فيسوع دجال من الناصرة، قامت معجزاته على السحر والشعوذة ، محاولا أن يضـل بذلك أبناء اسرائيل . وهناك خمسة أشخاص التفوا حوله، وجعـل منهم بطانته . ولقد قال بفمه انه لم يأت لينقض شيئاً من الناموس أو يضيف عليه ، وانه علق على خشبة فى ليلة عيد الفصح كخائن ومفسد خطير . وعلى الرغم من هــذا فان التلمود يعترف بأن تلاميذ المسيح كانوا يشفون المرضى باسمه .

إن كل ما تقدمه لنا المراجع غير المسيحية التى عاصرت فجر ظهورها هو الإعتراف بحقيقة موت المسيح على الصليب، وهو ركن منطقى من أركان إيماننا القويم ، لا يحتاج إلى برهان أو دليل .

ولقد وجدت بعض القصص التى وردت فى بشائر الإنجيل ، طريقها إلى الأدب الوثنى المعاصر، واقتبسها الـكتاب الأقدمون، ونسبوها إلى آلهتهم ، وأساطيرهم . فهناك حوادث الشفاء المعجزية حسبما وردت فى

بشارة مرقس، ونستطيع أن نلمس ما يقابلها عندهم. ومعجزات الطبيعة مثل إسكات الرياح ، والسير على الماء ، وغير ذلك، اكتشفت لها نظائرها . على أنه لم يكن لهذه أو تلك فيما بعد تأثيرها على أذهان الأمميين الوثنيين،أما تعاليم المسيح،فلقد تكتم اليهود تفاصيلها،ولم تصل إلى الخارج . كما أنه لم يرد فى كتابات الأقدمين من الأمم الوثنية أية إشارة إلى صراع المسيح مع الكهنوت اليهودى .

على أننا بهذه الطريقة أو تلك ، سنحاول أن نقتبس بعض الحوادث الهامة التى ارتبطت بظهور المسيحية، وأثارت اهتماماً عاماً فى جميع الأوساط. مثل ظهور النجم عند ولادة المسيح ، وحادثة تطهير الهيكل ، وانشقاق الحجاب عند موت السيد ، ثم قيامته من بين الأموات، وصعوده ، وأيضاً الظواهر الشاذة التى رافقت يوم الخمسين اللاحق لصعود المسيح .

وقد اعتمدنا فى هذا البحث على بعض مراجع أهمها The Old Testament in the Jewish Church لمؤلفه روبرتسون سميث ، وكذلك The Old Paths للدكتور ماكول، وهو كتاب نادر أثار ظهوره فى الماضى جدلا عنيفاً فى المجتمعات اليهودية ، ويحوى مقارنة علمية مؤيدة بالاسانيد عن يهودية الكتاب ويهودية التقاليد ( الاحاديث ).

كما اعتمدنا على خلاصة الفكر اليهودى فى التلمود، كما شرحه وحققه الدكتور كوهن أستاذ الآداب ، ودكتوراه فى الفلسفة من جامعات لندن .

هذا فضلاً عن كتيب ظهر بالانكليزية عنوانه « يوسيفوس والمسيح » اقتبسنا منه بعض السطور .

( المؤلف )

# الفصل الأول

## كيف جمع التقليد

## أو الحديث اليهودى

فى عام ٥٨٦ ق.م . هاجمت جحافل البابليين مملكة يهوذا ، وسبى الشعب إلى أرض بابل ، وخرب الهيكل وتوقفت الممارسات الدينية . ولم يتبق فى البلاد إلا أدنى الطبقات من الزراع والكرامين . وقد زاد من فداحة الكارثة أنه قبل ذلك التاريخ بقرن ونصف ، وعلى وجه التحديد حوالى عام ٧٢٢ قبل ميلاد المسيح ، حاصرت جيوش الأشوريين مملكة الشمال ، التى كانت تضم الأسباط العشرة . وما لبثت أن سقطت فريسة لها ، وسبى الشعب إلى بلاد أشور . ولو كان أصاب مملكة الجنوب ما أصاب مملكة الشمال ، لمحى ذكر كل عبرانى إلى الأبد .

هذا الفكر الحزين دفع شيوخ الشعب فى بلاد السبى إلى التفكير فى طريقة جدية ، بها يحافظون على البقية من تراثهم ، ويوقفون الانهيار الذى يهدد كيانهم . وكيف يمكن أن يتم هذا ؟ لقد وجد الشيوخ

أنه من المستحيل وضع سياج حول كل عبرانى حتى لا يختلط مع الذين هم حوله . فالجماهير كالموج فى البحر ، تماوج وتمازج . وعن طريق المصاهرة والاختلاط ، ونقل العادات والأفكار الجديدة ، سيزول تدريجيا كل أثر للعنصر الأصيل ، ولا يتبقى بعد قرن واحد من الزمان ما يميز الواحد عن سواه . وعلى الرغم من أن الشعب اليهودى ، فى أى مجتمع يوجد فيه ، يحاول بشتى الطرق والوسائل، أن يبقى بعيداً عن الوسط الذى يعيش فيه ، متكتلا بأمواله ، وأشخاصه ، ومشاريعه ، والأحياء التى يعيش فيها ، وتقاليده وعاداته ، وأحياناً بلغته ، إلا أن كل هذا لن يكفى لوقف تيار الاختلاط . . .

ولقد كان فى الهيكل وتقاليده ، وعاداته ومراسيمه وذبائحه ، وعباداته ، أقوى سياج يحافظ على عنصرية ذلك الشعب . فحوله كانت تتركز عباداتهم . ونحوه كانت تتجه عيونهم من مشارق الأرض ومغاربها ، فى كل ساعة من ساعات صلواتهم ، وإليه كانت تحج الألوف من كل مكان مرتين على الأقل كل عام ، وخصوصاً فى عيد الفصح الكبير . وها قد انتهى الهيكل وتهدم ، ولم يعد له وجود .

تركزت آمال رؤساء الشعب فى المكتوب ، فى كتب التوارة ، وهى كلمة عبرية تعنى الناموس ، والتعاليم والإرشادات .

وبدون الدخول فى تفاصيل كثيرة نقول انه كان لدى الكتبة أو النساخ أو دكاترة الناموس[1] نسخ خطية من أسفارموسى الخمسة مع بعض كتابات الأنبياء ، وبعض المزامير . وحول هذه المجموعة الضئيلة من التراث القديم تركزت آمال الشعب . ويعتقد أن النبى حزقيال كان من المعاصرين لهذه الفترة الحرجة من تاريخ الأمة اليهودية ، وكانت له اليد الطولى فى الأحداث التى تلت ذلك .

وقد وضع ذلك النبى الكبير بذرة المجامع الدينية « بيت ها كنيست » فى قلب مدن السبى . حيث كانت تقرأ اسفار التوارة ، وتفسر أقوال الناموس . وبمرور الوقت أضيفت الصلوات والمزامير لمراسيم العبادة ، وأصبحت المجامع أماكن للعبادة العامة . وهكذا بعث فى نفوس الشعب الرغبة فى دراسة المكتوب . وبالطبع نشأت مع المجامع الدينية هيئات المفسرين للناموس أو « السوفريم » . ولقد أشار إليهم عزرا (٨ : ١٦) كمعلمين . وقال عنهم نحميا ( ٨ : ٧ ) انهم هم الذين دفعوا الشعب لمعرفة الناموس .

---

(١) كانت هذه هيئة ثابتة ظهرت بوضوح فى عصر المسيح ، للاشراف على نسخ الاسفار المقدسة خوفا من الوقوع فى أى خطأ ، وخاصة أن الأشارات المميزة للحروف المتحركة لم تكن معروفة ، وقد اخترعت فى اواخر القرن الرابع او الخامس الميلادى . وكان النساخ يعتمدون على الحفظ والتناقل ومن الملاحظ ان أقل تغيير فى اشارة حرف متحرك ، قد يتبعه تغيير معنى الكلمة وبالتالى الجملة كلها .

ويعتقد أن عزرا الذى امتد به العمر حتى شاهد بقية الشعب تعود من السبى بمعونة الملك الفارسى « ارتازركس »، كان له أكبر الأثر فى نشر الوعى بين طبقات الشعب. فإن كان نحميا حاكم أورشليم قد وجه الشعب ووحد جهوده لبناء الهيكل، فإن عزرا قد أرسى قواعد الوعى الدينى، والعبادة الجماعية. وكان أول كاتب من سبى بابل جمع، ونسخ، وحقق أسفار التوارة. لذلك استحق لقب « عزرا » ومعناه الكاتب، وفى عيد المظال من سنة الرجوع أصغى الشعب بالتوبة، والدموع، لكلمات الناموس. وكان يوماً مشهوداً فى تاريخ الأمة.

ولقد كان لهيئة الكتبة أو دكاترة الناموس والشريعة، أحكامهم وتقاليدهم، التى نشأت وترعرعت من دراسة بنود الناموس، ومن الظروف التى جابهتهم فى حياتهم، ومن طبيعة الثقافة والتجربة، والخبرة التى تشبعوا بها. وهذه الأحكام، والتقاليد والأحاديث تزايدت على مر العصور والأجيال. وكونت تراثاً ضخماً جمع ونظم. وشرح وبوب. وأصبح عند اليهود فى منزلة الناموس المكتوب. بل أنهم زادوا على ذلك بالقول ان التقليد قديم، منزل، قدم التوراة نفسها، سلمه موسى شفاهاً لاتباعه

كما سلم لهم الناموس المكتوب . ولأنه يمس كل مطاليب الحياة ، فى نظرهم ، فقد تمسكوا به تمسكا يفوق تمسكهم بنصوص الناموس .
وحينما اعترضت اليهودى مشكلة من المشاكل لم يكن يتساءل ما هو حكم الناموس بقدر ما كان يتجه إلى أقوال التقليد وحكمه . ولقد دفعهم هذا التمسك بالتقليد إلى الجمود والإنحراف عن المكتوب ، مما دعا السيد المسيح إلى أن يوبخ رياءهم ، ويضع أصبعه على الداء فى حياتهم .

أنظر متى (١٢ : ١ — ٨)، (١٥ : ١ — ٢٠)، (٢٣)

وهكذا كان للتقليد أو الناموس الشفاهى عند الكتبة ، المكانة والمنزلة التى للناموس المكتوب . بل أنهم كانوا أكثر غيرة وتحمسا على الحفاظ على التراث التقليدى، الذى ظهر نتيجة لتفاسير متشعبة لما ورد من نصوص فى اسفار موسى الخمسة . ولكن لا ينبغى أن نفهم من هذا أنه قد وضعت أصول ثابتة وقواعد راسخة يسير عليها الأحبار والربيون خلال العصور الطويلة فى تفسيرهم لنصوص التوراة أو الناموس . لقد كان كل منهم يفسر المكتوب حسبما يتراءى له حتى لو أتى التفسير هزيلا ضعيفاً يبعد كل البعد عن روح المكتوب . وعلى ذلك فمن المنطقى أن نجد متناقضات بين نصوص التقليد . ومن

المنطق أيضاً أن نجـــد شذوذاً ، وابتعاداً عن روح الناموس فى بعض المواضيع .

وعلى الرغم من التطور فى التفكير ،فإنه يمكن القول انه من عصر عزرا الكاتب إلى عصر المسيح ، لم يحدث تغيير كبير فى التقليد ، وخاصة أن الأمة جمعاء كانت ترزح تحت نير الاستعمار لدول متباينة ، وكانت ظروفها كلها تقريباً واحدة ، كما أنه لم يكن للشعب الحرية الكاملة للتطور الدينى والمدنى .

إلا أن الهيئة التى كان يتزعمها الكتبة ، والتى تطورت فى عصر المسيح إلى هيئة الفريسيين ، قد رأت أن أسلم طريقة لحفظ الشعب فى حدود دائرة الناموس، أن يوسعوا دائرة التقاليد على الدوام بالشرائع والقوانين الجديدة حتى يجد اليهودى نفسه فى حدود تلك الدائرة ، أو بحسب تعبير الدكتور روبرتسون سميث « أن يضعوا سياجا كثيفاً للناموس بالتقاليد ، ويوسعوا محيط الممارسات الطقسية والتقليدية زيادة على ما جاء فى أسفار موسى الخمسة وفى التقاليد القديمة جداً » .

ولكن الكتبة والفريسيين ،وخاصة فى عصر المسيح ، لم يكونوا الطبقة الحاكمة فى البلاد ، بل كان الحكام فى الشئون الدينية ،

والمخالفات المدنية البسيطة التى لا يقتضى الأمر أن تتدخل فيها السلطات الحاكمة ، هم الطبقة الارستقراطية فى الكهنوت اليهودى ، وعلى رأسها رئيس الكهنة وهو مركز كان يتوارثه الأبناء عن الآباء والأجداد . ومع ذلك فقد كان للمعلمين من كبار الكتبة شأنهم وأثرهم ، كما أن الفريسيين بقداستهم المصطنعة ، وتدقيقهم فى حفظ الناموس قد كسبوا لأنفسهم شعبية ، حتى أن الارستقراطية الكهنوتية وجدت نفسها ملزمة رغم أنفها ، كما يقول يوسيفوس ، أن تحنى الرأس للكتبة والفريسيين ، وأن يفسحوا لهم المجال ، وأن يخضعوا للتنظيمات والتغييرات التى يفرضونها ، تلك التغييرات التى ما كان الكهنة يرضون بها أو يقبلونها لأنها فى غالب الأحيان لم تكن فى صالحهم .

ولقد كانت هناك مجالس دينية تعقد فى المجامع الإقليمية ، وتحكم فى المنازعات السائدة والمخالفات الدينية . وكانت تلك المجامع تخضع فى قراراتها ، وترجع بين الحين والحين ، إلى المجمع الكهنوتى الأعلى فى أورشليم : مجمع السنهدريم . وفى البداية كان أعضاء هذه المجالس معظمهم من الصدوقيين ، ولكن الكتبة بمرور الزمن ، استطاعوا أن يشقوا طريقهم ويضمنوا لأنفسهم مقاعد ثابتة فى إدارة هذه المجالس .

حتى أنه فى أواخر عصر المكابيين تحت حكم الملكة سالومى ، حينما كانت سياسة هيرودس الكبير أن يحطم أنياب الارستقراطية الكهنوتية بتشجيع الكتبة والفريسيين ، ارتفع شأنهم ، وعلا قدرهم ، حتى أصبحوا ينافسون الصدوقيين فى المجالس الحاكمة .

وهكذا كان للكتبة والفريسيين شأنهم الكبير فى مجريات الحياة اليومية بالنسبة للشعب ، خاصة فى عصر المسيح . واستمر أثرهم حتى سقوط أورشليم واحتراق الهيكل على يد قوات تيطس عام ٧٠ للميلاد حيث لم يتبق لهم بعد ذلك السلطان الأول ، فقد سبى معظم أبناء الشعب ، وابطلت الذبائح ، والمراسيم والتقاليد ، ولم يبق لها من أثر إلا فى محيط ضيق محدود ، وبين قلة لا تذكر ، إلى أن جاء عهد « هادريان » حينما حدثت ثورة اليهود الأخيرة — ما بين عامى ١٣٢ إلى ١٣٥ للميلاد — والتى انتهت بسحقهم نهائياً . ولم يعد ثمة عمل لهيئة الكتبة والفريسيين . فكرسوا جهودهم لجمع التراث التقليدى القديم ، وتنظيمه وتبويبه حتى تكونت مجموعة أسفار التلمود تحت إسم « المشنة » وهو العمل الذى أكمله الحبر يهوذا عام ٢٠٠ للميلاد . . . وكلمة مشنة تأتى من فعل عبرى يفيد التكرار . .

من ثم أصبح التقاليد علماً . وأصبح كبار العلماء والشيوخ هم

الذين يقومون بتفسيره وشرحه . وهؤلاء لقبهم الشعب بلقب « التنييم » ومعناه المعلمين ، وهو اللقب الذى أطلق عليهم خلال فترة جمع وتبويب المشنة ، أى حتى نهاية القرن الثانى للميلاد .

ومن المعلمين الكبار الذين تركوا أثراً كبيراً على اتباعهم فى القرن الأول المعلم « هلليل » وهو بابلى المولد ، يقول التقليد عنه ان أمه من السلالة الملكية ، سلالة داود . ومن بابل هاجر إلى مدن اليهودية . وزهاء فترة أربعين عاما ، كان هو المفرد العلم فى شئون الناموس الشفاهى والمكتوب . وكان أصدق ممثل للنظرية الفريسية السائدة بأن الناموس الشفاهى ، يفسر ويسند الناموس المكتوب .

ولقد كان للمعلم هلليل مدرسته ، وعاصره معلم آخر يدعى « شماى » ، كانت له هو الآخر مدرسته ومؤيدوه . وكانت المنافسة شديدة بين الهلليليين ، وبين الشمائيين . كان الأولون أكثر اتساعا وتسامحاً فى تفسيرهم للناموس ، بينما كانت مدرسة شماى أكثر تعصبا وتزمتا . ويسجل لنا التقليد ما يقرب من ثلثمائة خلاف بين المدرستين . ولكن مدرسة هلليل انتصرت فى النهاية .

وبتوالى القرون اتضح أن المشنة بحاجة إلى تفسيرات جديدة . وهكذا تطور التقليد وتكاثر حتى وصل إلى صورته الحالية مما حدا

بالـكاتب « فارار » أن يكتب عنه بالحرف الواحد فى نهاية مؤلفه القيم « حياة المسيح » :

«لغة التلمود مطاطة غير مفهومة . وهو يحتوى على أشياء لا بأس بها ، ولـكنها أقل بكثير من أى كتابات بشرية تماثله فى الضخامة . ولا يوجد كتاب مثله ، متعب غير مجد ، كثير اللف والدوران ، قاحل ملىء بالمتناقضات والأخطاء . . وان صعوبة الأسلوب التى لا تقهر ، وغلظة اللغة المخيفة ، والهباء المذهل لسخافة المواضيع ، كل هذا يؤلم ، ويغيظ ويتعب كل من يقرأه . . وهنـــاك فصل كامل بعنوان بيتسا أو « البيض » سجلت فيه مشاحنات مدرستى هلليل وشماى التى شغلت المدرستين زمنا طويلا . وهو يدور حول موضوع تافه خلاصته ، إن كانت دجاجة قد تجاسرت وباضت بيضة فى يوم السبت ، فهل يجوز لنا أن نأكلها أم لا ! . .

هكذا جمع التقليد أو الحديث اليهودى ، الذى تـكاثر خلال العصور حتى وصل إلى ما يعرف الآن بالتلمود . وإن كنا قد أطلنا قليلا فى التعريف به ، فذلك حتى يدرك القارىء قيمته فى نظر اليهود ، وحتى يرى أنه إن كانت قد وردت به تلميحات إلى شخص المسيح ، تحدد تماما موعد ميلاده ، وتشير إلى بعض الأحداث الشهيرة التى

وقعت فى حياته ، فهى فى قيمتها توازى مانطق به الأنبياء فى القديم من نبوات تنطبق على المسيح . وإن كان اليهود قد حذفوا معظم هذه الاشارات ، وخاصة بعد مجىء المسيح ، فما بقى منها يكفى لكى يدرك أولئك الذين أتى المسيح منهم وعاش معهم ، وسفك دمه من أجلهم، الذين رفضوه ، واضطهدوه ، ورفعوه على خشبة العار ، هو هو المسيا الذى ينتظرونه ويحلمون بمجيئه حتى الآن . . .

وفى الفصل التالى سوف نتحدث عن الاشارات التى وردت فى التلمود عن شخص المسيح .

# الفصل الثانى

## التقليد وميلاد المسيح

كلما تقترب عقارب الزمن من نهاية عام ، وبداية عام ، تسود الأفراح، وتتألق الأنوار،وتدق الأجراس، وترتفع التسابيح، ويتبادل الناس الهدايا والتهانى ، فى كافة أرجاء العالم . فتلك الأيام هى التى اصطلح المجتمع المسيحى ، على أن يذكر فيها مجىء المسيح إلى العالم ، وميلاده فى بيت لحم.وفى كافة المجتمعات، بين الأوربى والشرقى الذى عرف أسباب الحضارة ، وبين المتبربر البدائى الذى يعيش وسط الغابات،فى كل مجتمع أشرق عليه نور المسيح،تستطيع أن تلمس الفرح والبهجة يطلان من القلوب والعيون والبيوت ، من الكبار ومن الصغار، من المتعلمين، وممن لم ينالوا حظاً من التعليم .

ولكنك فى محلة اليهود لن تجد أفراحاً،ولن تسمع صوت النشيد. إن أولئك الذين تغنى نبيهم العظيم ، منبئاً بمجىء المسيح قبل مولده بمئات الأعوام هاتفاً « لأنه يولد لنا ولد،ونعطى ابناً،وتكون الرياسة على كتفه.ويدعى اسمه عجيباً مشيراً، إلهاً قديراً،أباً أبدياً، رئيس السلام»

( اش ٩:٦ )، لم يميزوا ذلك الابن، ولم يقبلوه ، بل على صليب رفعوه.

وهكذا، كما قال أحد كبار المفكرين ، «دخلوا العهد الجديد تحت ظل الدماء والصليب»،وبدلا من أن يتمتعوا بنور إشراقه ، عاشوا فى ظلال العهد العتيق يتلمسون طريقهم الدامى فى الظلام الدامس . قال لى أحد اليهود ان الفارق بيننا وبينكم،هو أنكم تعتقدون أنه جاء، أما نحن فلا. قلت له انه الفارق بين الظلام والنور ، وبين الذين يعيشون فى ظلام الليل ، وبين الذين يتمتعون بإشراق شمس الصباح .

وفى هذا الفصل، سنحاول أن نثبت من كتابات الأحبار الأولين المدونة فى التلمود، ما يؤكد بأن المسيح قد جاء فعلا ، وأنهم عملوا به كل ما أرادوا . اننا لن نستند على النبوات التى وردت فى التوراة المكتوبة ، فهذه يؤولها الأحبار تأويلات ملتوية حسب أفكارهم . فمثلاً قوله « هوذا فتاى الذى اخترته. حبيبى الذى سرت به نفسى» يقولون انها إشارة إلى شعب اليهود، والكنيسة اليهودية. ومثل هذه التأويلات كثيرة .

ولكننا سنتجه إلى أسفار التلمود ، ومن بين سطوره نجد أن مسيحنا هو المسيا المنتظر. وقد كان بين شعب اليهود شيوخ مفكرون، نظير أولئك الذين استدعاهم هيرودس فى القديم،وتحقق منهم عن زمن ومكان ولادة المسيا . وهؤلاء كتبوا وبقيت لنا كتاباتهم .

وفى هـذه الأقوال سنكتشف أن الأحبار القدامى تتفق كلمتهم على أن :

زمان المسيا، مضى وانقضى .

وانه كان ينبغى أن يأتى فى نهاية الأربعـة آلاف سنة بعد خلق العالم .

وأنه فى هذا الميعاد على وجه التقريب قد ولد فى مدينة بيت لحم اليهودية .

وأنه أخذ إلى الفردوس .

وأنه ينتظر الوقت المعين لمجيئه مرة ثانية لخلاص شعبه .

فأى عاقل يبحث هذه الأمور ، ويتأمل فى هذه الأقوال ، يرى أن الأحبار القدامى يشتركون معنا فى العقيدة ، فاذا كان للتقليد قيمته فى نظر اليهود، وإذا كانوا يتمسكون بكل ما جاء به، أما كان الأولى بهم أن يفحصوا هـذه الأقوال . فان ثبتت صحتها وتاريخيتها يولونها شيئاً من الإهتمام ؟

لـكن هناك عائقين يمنعانهم عن قبول الحق :

العائق الأول أن قبولهم للمسيح معناه انكار برهم الذاتى .

والثانى، وهو الأكثر أهمية، أنهم ينظرون مسيحاً أرضياً ، ملكاً سياسياً ، يتخذمن أورشليم عاصمة لملكه الشامل ، ويعيد أمجاد عهد سليمان ، والثيوقراطية العبرية، ويحكم الأمم بقضيب من حديد .

ولكن ما قيمة المسيح السياسى إزاء المسيح الروحى ؟ وما هو سلطان المادة الى جانب ملكوت الروح؟أليس الملك الحقيقى الشامل هو السيادة على القلوب والنفوس ؟ ألا يضم العالم أجمع فى نطاق شامل ؟ أليس الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون ؟

بعد هذا الإستهلال نعود إلى موضوعنا الرئيسى فنقول :

أولاً : ان الأحبار القدامى يؤكدون أن زمان المسيا قد مضى وانقضى. فيقول الحبر «راف» (فى المجموعة الثانية من التلمود كتاب ٩٧) ، ما نصه بالحرف الواحد باللغة العبرية:

« زمان المسيا قد انقضى منذ أمد بعيد !! » .

والكلمة العبرية انقضى أوانتهى الواردة فى هذا النص ، مشتقة من الكلمة المتكررة فى سفر دانيال ( ص ١٢ : ٦و١٣ ) « أما أنت فاذهب إلى النهاية فتستريح ، وتقوم لقرعتك فى نهاية الأيام » .

وعلى ذلك يؤكد هذا الحبر اليهودى أن الزمن الذى ذكره

دانيال قـد جاء وانقضى . وهل يمكن أن يصدق عاقل يؤمن بسلامة الوحى أن إله الحق يعين زمناً محدداً ، ويدع هذا الزمن يمضى دون أن يحقق وعده؟ تأمل معى أيها القارىء العزيز، فى الحوادث المتكررة فى حياة هذا الشعب ، وأنت ترى إنه وإن كانت ساعة الله تتحرك ببطء إلا أنها لا تؤخر ولا تقدم دقيقة واحدة عن الموعد المعين . فحينما جاء الوقت المحدد لخلاص العبرانيين من أرض مصر ، ومن بيت العبودية ، نجد القول مسطراً بالحرف الواحد فى سفر الخروج الاصحاح الثانى عشر والعدد الحادى والأربعين :

« وكان عند نهاية أربع مئة وثلاثين سنة فى ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر ». وحينما أتى الميعـاد المعين للرجوع من سبى بابل،فاننا نقرأ فى سفر الأخبار الثانى الاصحاح السادس والثلاثين والعدد الثانى والعشرين الكلمات التى سطرها الوحى : « فى السنة الأولى لـكورش ملك فارس لأجل تكميل كلام الرب بفم أرميا نبيه، نبه الرب روح كورش ملك فارس فأطلق نداءً فى كل مملـكته أن الرب أوصانى أن أبنى له بيتاً فى أورشليم » .

فهل يساورنا الشك بعد ذلك فى أن ذلك الإله السرمدى الذى يحرك قلوب الملوك والشعوب وقوى الطبيعة لكى لا يسقط حرف واحد

من مواعيده الصادقة يخلف وعده فى أمر على جانب عظيم من الأهمية كمجىء المسيا ؟! فالحبر اليهودى « راف » إما أن يكون مخطئاً أو مصيباً فى كلامه ، فان كان مخطئاً فينبغى أن ينهار ايمان اليهود بالتلمود، وهذا ما لا يرضونه لأنفسهم. وإن كان مصيباً فان هـذا معناه أن الله قد تخلى عن ميعاده وأخلف وعده. وهذا ما لا يمكن أن يكون. فالسماء والأرض تزولان، ولا يسقط حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس.

ثانياً : ولـكن أولئك اليهود القدامى لم يؤمنوا فقط بأن زمان المسيا الذى عينه الأنبياء فى القديم بإرشاد الوحى الإلهى ، قد مضى وانتهى، ولـكنهم قد عينوا أيضاً الميعاد المعين لمجىء المسيح . ونحن نجــد فى المجموعة الأولى من التلمود ( كتاب ٩٧) القول الوارد بالحرف الواحد باللغة العبرية :

« هذا هو تقليد مدرسة إيليا : إن العالم لن يتجاوز فى عمره ستة آلاف عام. الألفان الأولان عهد اضطراب .. الألفان الثانيتان عهد الناموس .. الألفان الأخيرتان أيام حكم المسيا » .

ويعلق الحبر « راشى » وهو من الاحبار القدماء على هــذا القول ، بقوله :

« كان ينبغى أن يأتى المسيا بعـد الالفى عام التى انقضت على

الشعب تحت حكم الناموس ، وبذلك تنتهى مملكة الأمم، وعهد عبودية اسرائيل ».

وهذا كما نرى تعبير آخر صريح بأن المسيا كان ينبغى أن يأتى فى نهاية الأربعة آلاف سنة الاولى منذ خلق العالم .

فان كان هذا القول صحيحاً، يكون المسيا قد جاء ولا شك . وإن كان هذا القول مدسوساً على عقائد هذه المدرسة — مدرسة إيليا — وأنه مجرد تخمين لشخص،فهو على الاقل يبين الشعور السائد فى ذلك الحين، ويظهر روح التوقع التى كانت تمتلك قلوب الكثيرين .

إن اليهود يطعنون فى صحة هذا التقليد بقولهم ان مجىء المسيا مشروط بتوبتهم الكاملة ورجوعهم للحق . وهو الأمر الذى لم يذكره التلمود، ولم تشر اليه التوراة. وعلى ذلك، إستناداً على ما سلف نقول ان المسيا ينبغى أن يأتى فى ميعاده، وأن مجيئه غير مشروط بأى شرط. وما دام القدامى يؤكدون بأن الميعاد المعين بالأنبياء لمجىء المسيح فد مضى من زمن بعيد ،ويحددونه أيضاً بنهاية الأربعة آلاف سنة بعد تاريخ خلق العالم ، بحسب العقيدة اليهودية ،فلا بد أنه قد أتى .

ثالثاً: ولكن التلمود لا يتركنا لمجرد الحدس والتخمين والاستنتاج فحسب، بل يعين بالفعل الزمن ويقول ان المسيا قد ولد بالفعل قبيل الوقت الذى دمر فيه الهيكل . ففى التلمود الأورشليمى يحدثنا الحبر « يهودا » بقصة يهودى ذهب بالفعل ورأى المسيا المولود.

وفى تفسير الآية الواردة فى سفر نبوات هوشع الاصحاح الثالث والعدد الخامس :

« بعد ذلك يعود بنو اسرائيل يطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ».

يقول الأحبار فى تفسير هذه الآية « ان المقصود بداود ملكهم » الملك المسيا . إن كان بين الأحياء فاسمه داود ، أو بين الموتى فان داود اسمه » .

ويضيف الحبر «تانخوم» ان الآية الواردة فى المزمور الثامن عشر والعدد الخمسين تؤيد هذا التفسير «ويعطى رحمةً لداود مسيحه» .

ويقول الحبر «يشوع بن لاوى» : «بل اسمه صماخ ومعناه غصن، كما هو مكتوب: ينبت فرع من بيت يسى ويقوم غصن من أصوله » . ويقول الحبر « يوبان بن عربو » : « بل اسمه مناحيم ومعناه المعزى .

وماحدث لليهودى وهو يحرث أرضه يؤيد هذه التسمية ، وهذه هى قصة ذلك اليهودى :

كان اليهودى يحرث أرضه بمحراث تجره الثيران . فمر عليه أعرابى والثيران تخور . وقال له «أيها اليهودى، أيها اليهودى، أطلق الثيران فالهيكل قد خرب» . وعادت الثيران تخور مرة أخرى فقال الأعرابى «أيها اليهودى، أيها اليهودى، أعد الثيران إلى مكانها، واصلح المحراث فلقد ولد المسيا الملك» . فسأله اليهودى «وما اسمه؟» قال «مناحيم ومعناه المعزى» فسأله أيضاً «وما اسم أبيه؟» أجابه «حزقيا». فعاد اليهودى يسأله مرة ثالثة «وأين هو؟».فأجاب الأعرابى «فى بيت لحم اليهودية» .

فقام اليهودى على الفور، وباع ثيرانه وأرضه، وحمل مذوداً كبيراً به لفائف للاطفال وثيابهم . وطاف مدن اليهودية كلها يبيع لفائف الأطفال حتى وصل إلى بيت لحم ، فاشترت منه جميع نساء بيت لحم عدا أم مناحيم. فقالت النساء لأم مناحيم « يا أم مناحيم ، يا أم مناحيم، لماذا لا تشترين لفائف لإبنك؟» .فأجابتهم بالقول «لتحل اللعنة للأبد على أعداء اسرائيل ، لأنه فى يوم ميلاد هذا الطفل خرب الهيكل » . فأجابها بائع الثياب «ولكننا نرجو أنه كما خرب الهيكل تحت أقدامه، هكذا سيبنى تحت أقدامه أيضاً » . فأجابت أم مناحيم «ولكن ليس

معى نقود» . فقال لها البائع «خذى منى مايلزم للطفل ، وعند رجوعى بعد أيام سأستوفى منك الكل » .

وعاد الرجل بعد أيام إلى بيت لحم، وسألها قائلاً « وكيف حال الصبى ؟ » فأجابته « فى نفس اليوم الذى تركتنى فيه فوجئت برياح وعواصف تملأ المكان . وأرواح تأتى ، وأرواح تذهب. وما لبثت أن اختطفته من بين يدى إلى السماء ».

ويقدم الأحبار البابليون اعترافاً مثل هذا فى التلمود البابلى. فيقول الحبر « شارينا» :

« بعد أربع مئة سنة من خراب الهيكل إن قال واحد لك: إشتر منى فداناً من الأرض ( بما يوازى نصف ريال ) لا تشتر منه — أو بمعنى آخر، بعد أربعة آلاف سنة، ومئتين وواحد وثلاثين من السنين منذ خلق العالم، إن قال واحد لك : إشتر منى فداناً من الأرض ( بما يوازى نصف ريال) فلا تشتر منه — لأن هذا هو الوقت المعين لرجوعك إلى الجبال المقدسة وإلى ميراث آبائك » . فعلام تدفع نقوداً فيما سترثه مجاناً ! !

وفى الكتاب الثامن والتسعين من المجموعة الأولى من التلمود نجد القول :

« وجد الحبر « يشوع بن لاوى » النبي ايليا واقفاً فى باب مغارة «شمعون بن يوفاى » فسأله . « هل ستصعد إلى السماء ؟» فقال له ايليا « إذا أراد الرب ذلك! » . فعاديسأله مرة أخرى «ومتى سيأتى المسيا ؟» فأجابه « إذهب بنفسك واسأله». قال «ولكن أين سأجده ؟» أجابه «فى بوابة روما ! » فسأله «وكيف سأعرفه؟» قال « ستراه بين الفقراء والمعوزين، والمتألمين، يفتحون جراحهم له، وهو يضمدها » .

فذهب الحبر يشوع إلى روما ورآه هناك. فقال له «السلام لك يا سيدى وربى». فاجابه «السلام لك يا بن لاوى». فقال متسائلا «متى سيأتى الرب ؟» فاجابه «اليوم !!» كما هو مكتوب «اليوم إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم » .

ولعل هذا القول الوارد فى التلمود هو الذى حدا بيوسيفوس المؤرخ اليهودى إلى الإعتقاد بان المسيا لا بد أن يكون رومانياً . وهكذا طبق جميع النبوات الواردة عن المسيح فى التوراة المكتوبة والشفوية على الإمبراطور الرومانى «فاسباسيان»،ومن سخرية القدر أن الهيكل أحرق والمدينة المقدسة خربت على يد تيطس ابن « فاسباسيان » .

ولعل هذا هو الذى حدا باليهود المتأخرين الذين جاءوا بعد مجىء المسيح إلى إصدار الحرم على كل من يحاول ويفسر الأزمنة والأوقات قائلين «لتحل اللعنة على كل من يحاول أن يفسر الأزمنة والأوقات».

# الفصل الثالث

## « رأينا نجمه فى المشرق »

فى قصة البشير متى عن ميلاد المسيح وردت الإشارة إلى نجم ظهر فى المشرق عن ميلاد المسيح ، وارشد المجوس إلى بيت لحم . ولقد حاول كثيرون إلقاء ظلال الشك على هذه القصة . قالوا انها منقولة عن التقاليد الأممية الوثنية . وان الأدب الوثنى به ما يماثلها . فشيشيرون يخبرنا فى كتاباته عن نجم ظهر عند مولد الاسكندر الأكبر . وسوتينوس تحدث عن نجم تألق عند ولادة أوغسطس قيصر عام ٩٤ قبل الميلاد . كما أن كتابات الأحبار القدامى بها إشارات إلى نجوم متألقة ظهرت فى حقب من تاريخ اليهود . كما قالوا ان ورود قصة النجم ضمن قصة ميلاد المسيح هى محاولة من الكاتب أن يقرن ميلاد المسيح بنبوة بلعام القديمة « يبرز كوكب من يعقوب ، ويقوم قضيب من إسرائيل » . أى أنه حينما يبرز الكوكب فى سماء يعقوب يرتفع صولجان الملك فى إسرائيل ، إشارة إلى ميلاد المسيح الملك .

وقال المتشككون ايضاً ان قصة زيارة المجوس نبعت من التقاليد

الذى ورد عن زيارة المجوس لنيرون عام ٦٦ للميلاد ، حيث ان تاريخ كتابة بشارة متى لا حق لهذا التاريخ . . ولكن ولا واحد من هذه الأقاويل يصح الاعتماد عليه كأساس تاريخى ثابت يطعن فى صحة القصة . فمن الأمور الثابتة تاريخياً أن نجماً متألقاً ظهر فى السماء فى تاريخ يوافق تاريخ ميلاد المسيح ، أى قبل الميلاد باربعة أعوام (حيث أن هناك خطأ يقرب من أربعة أعوام بحسب التقويم الحالى ). وهذا النجم قد شاهده المنجمون القدامى فى بقاع كثيرة من أنحاء العالم ، وكتبوا عنه .

وحتى الذين يدعون بأن كواكب مشابهة قد سطعت عند ميلاد بعض العظماء الأقدمين، وأن القصة منقولة عنهم، نستطيع أن نرد عليهم بالقول انه لن يقلل من تاريخية نجم المشرق الذى ظهر عند ميلاد المسيح أنه ظهرت كواكب مشابهة عند ميلاد الاسكندر أو أوغسطس قيصر أو غيرهما . بل ربما يكون فى ذلك تأييد أكثر للقصة .

ولقد قدم بعض العلماء تفسيراً علمياً لظاهرة النجم. قالوا انه توهج شديد نجم عن إلتقاء عطارد وزحل فى برج السمكة . وقد حدث هذا الالتقاء على فترات ثلاث فى ميعاد يقرب من ميعاد مولد المسيح

إلى حد تحديد أيام ٢٩ مايو و٢٩ سبتمبر و ٤ ديسمبر وهى المواعيد التى بدت فيها هذه الظاهرة .

ولقد كان المعتقد السائد حينذاك أن عطارد (جوبتر) هو أحد آلهة الرومان ، بينما زحل هو نجم اليهود ، أما برج السمكة فقد كان البرج الذى ينبىء بحظ اليهودية.

ولقد ظن الأقدمون أن هذا الإلتقاء يشير إلى قرب إنتصار اليهود على أعـدائهم الرومان . ولـكن عقلاء المفكرين فى عصور لاحقة فسروها على أنها إنتصار لليهود فى نظام وتدبير العهد الجديد . الا أنه يبدو من المتتبع للتاريخ أن اليهود الذين عاصروا المسيح ، لم يلقوا بالا إلى هذه الظاهرة ، ولم يعلقوا عليها كبير أهمية على الرغم من أن التقليد اليهودى، كما يؤكد أدرشيم ، يخبرنا بأنه قبل ميلاد المسيا بعامين سيظهر كوكب متألق .

وقبل ظهور المسيح كان الشعور العام فى ممالك كثيرة يدور حول الإعتقاد بأن ملكاً عظيماً سيظهر فى الشرق، ولو أننـا لا نكتشف اشارة إلى هذا الإعتقاد فى كتابات المؤرخين قبل ٧٠ للميلاد .

ولقد شاهد العلماء البابليون من على قمة مراقبهم ظاهرة النجم عام (٧ ق.م ) . كما كتب الفلـكيون الأقدمون من أقصى أراضى الصين

عن نجم مذنب ظهر فى السماء عام (٤ قبل الميلاد)، وهو تاريخ الميلاد الحقيقى بعد تصويب الخطأ فى التقويم. ولكنهم لم يستطيعوا أن يقطعوا برأى ثابت فيما إذا كانت تلك الظاهرة ناجمة عن كوكب واحد، أو من إجتماع كوكبين، أو من توهج مذنب، الا أنه من المعروف حالياً أن المذنبات لم تكن من الظواهر الفلكية المعروفة فى القديم.

وقد يكون من الجائز أن المنجمين البابليين الذين كانوا يحفظون نبوة بلعام النبى الأممى الشهير، حينما شاهدوا ظاهرة النجم المتألق فى برج اليهودية (عام ٧ ق. م) أسرعوا بالرحيل ليتحققوا الأمر بأنفسهم، ويقدموا اكرامهم للملك الوليد. حتى إذا ما وصلوا إلى فلسطين فى ميعاد ميلاد المسيح ـ ولعلهم أستغرقوا ذلك الوقت الطويل فى سفرهم المرهق على ظهور الجمال عبر الصحارى والتلال والوديان — ورأوا النجم يسطع أمامهم مرة أخرى — نفس النجم الذى شاهدوه قبل ذلك التاريخ بعامين — «فرحوا فرحاً عظيما جدا» كما يخبرنا البشير.

ومهما يكن من المطاعن التى توجه إلى النظريات السالفة المؤيدة لقصة الكتاب، فانه من الثابت تاريخيا أن يوسيفوس المؤرخ اليهودى كتب عن نجم ظهر فى سماء اورشليم، وعن مذنب تألق أيضا هناك.

وعلل هاتين الظاهرتين بأنهما نذر الخراب المدينة، واحتراق

الهيكل، الأمر الذى حدث بعد هذا التاريخ بأقل من قرن من الزمان.

فهل أشار يوسيفوس إلى إحتراق الهيكل وتدميره كاتمام لنبوة المسيح بأن حجرا لن يترك على حجر منه ؟ [1] ونبوات المسيح عديدة عن دمار الهيكل، وخراب المدينة المقدسة [2]. وفى حديث المسيح « أنقضوا هذا الهيكل. وأنا فى ثلاثة أيام أقيمه » [3] يخبرنا البشير يوحنا أن المسيح كان يشير إلى هيكل جسده، ولكن اليهود فهموا غير ذلك [4] وظنوا أنه يشير إلى هيكل هيرودس . وهكذا ساد الإعتقاد بين اليهود بأن المسيح تنبأ بدمار الهيكل، وادعى أنه يستطيع أن يقيمه . حتى أنه فى اثناء الصلب، كانت أحد أقوال السخرية التى وجهت للمسيح « يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام » [5]. ولقد كانت هذه إحدى التهم التى وجهها إليه مجمع السنهدريم. [6]

بل ان الذين القوا الأيادى على استفانوس الشهيد الأول فى

---

(١) مرقس ( ١٢ : ٢ ) لوقا ( ٢١ : ٦ )

(٢) متى ( ٢٣ : ٣٠ ، لوقا ( ١٩ : ٤٣ ، ٢١ : ٢٠ )

(٣) يو ( ٢ : ١٩ )

(٤) يو ( ٢ : ٢٠ )

(٥) مت ( ٢٧ : ٤٠ ) ، مرقس ( ١٥ : ٢٩ )

(٦) مر ( ١٤ : ٥٨ )

المسيحية ، اتهموه بأنه ردد قول المسيح هذا عن الهيكل . وخلال السنين التى تلت ذلك العهد حتى عام ٧٠ للميلاد ، وهو العام الذى حدث فيه خراب اورشليم ونهاية الهيكل ، كان شعور العداء للرومان يزداد عنفا بين اليهود . ونحن لا نعرف على وجه التحديد ، موقف الكنيسة المسيحية الأولى من الشعور القومى اليهودى ، ولو أنه يرجح ان المجتمع المسيحى ما كان يعلق كثيرا على بقاء الهيكل أو المدينة المقدسة ، فقد كانت أنظاره تتجه إلى اورشليم السماوية غير المصنوعة بأيد بشرية، اورشليم التى صانعها وبارئها الله. على أن تحذير المسيح لتلاميذه : « متى رأيتم اورشليم محاطة بجيوش فاعلموا أنه قد اقترب خرابها » ، كان له أثره فى المجتمع المسيحى اليهودى ، وهكذا أسرعت الجماعة الصغيرة بالفرار إلى مدينة بيللا عبر الأردن . . . حسبما ورد عن تاريخ الكنيسة الأولى ليوسابيوس المؤرخ المسيحى الذى عاش فى القرن الثالث الميلادى ..

وهذا التصرف الذى بدا من جانب المجتمع المسيحى بالاضافة إلى نبوات المسيح ، قد جعلت هذه العقيدة ترسخ فى الأذهان ، بأن يسوع كان معادياً للهيكل، وأن ظهوره مقترن بخراب اورشليم .

وهكذا نجد يوسيفوس يكتب بالحرف الواحد فى المجلد الثالث

من تاريخ الحرب اليهودية مانصه : « وهكذا ضلل الشعب البائس في ذلك الحين، بأفاقين وأدعياء الرسالة الإلهية الذين لم يؤمنوا بالنذر الواضحة التي كانت تنذر بالخراب القادم ، ولم يأبهوا لها ، وكأنما فقدوا نعمة البصر ، ونعمة العقل . فلم يكترثوا لتحذير الله الواضح . هكذا كان الحال وقد أرسل الله نجما يشبه السيف في سماء المدينة ، ومذنباً استمرا لعام كامل » .

ولم يشر يوسيفوس بوضوح إلى العام الذي ظهر فيه النجم أو العام الذي توهج فيه المذنب . كما لم يحدد لنا ان كانا قد ظهرا في وقت واحد، أو في وقتين متفرقين . وكل التاريخ الذي حدده لهاتين الظاهرتين ، هو أنهما حدثتا قبل الانفجار اليهودي الصاخب الذي انتهى بزوال مجد اليهودية على يد تيطس ابن فاسباسيان .

وبالتأمل قليلاً في طريقة يوسيفوس في تسطير الأحداث التاريخية التي لها ما يقابلها في أخبار الملوك والأيام في العهد القديم (فقد كتب يوسيفوس تاريخ اليهود مفصلاً منذ البداية )، نستطيع بسهولة ويسر أن نستنتج أن النجم والمذنب ظاهرتان متفرقتان، وأن الواحد حدث في ميعاد يختلف عن الآخر . ولقد قال البعض بان يوسيفوس قصد الظاهرتين الفلكيتين اللتين حدثتا بالتتابع عام ٦٠، وعام ٦٤ للميلاد

وشوهدتا بوضوح فى روما ، وكتب عنهما المؤرخ « تاسيتوس » .
ولكن من يدرى لعل يوسيفوس يقصد بالنجم الأول النجم الذى أشرق عند ميلاد المسيح . فهناك مشابهات عدة بين قصة متى عن النجم فى البشارة ، وبين قصة يوسيفوس . فكلا الاثنين يتحدث عن نجم يقف فوق مكان محدد لمدة طويلة . ومع أن يوسيفوس يحدد مكان النجم بسماء اورشليم ، بينما يحدد متى مكانه بسماء بيت لحم ، ألا أننا نقول ان بيت لحم ما كانت لتبعد عن اورشليم غير بضعة أميال . وتحديد الرائى لمكان نجم فى الفضاء يتوقف على الجهة التى منها ينظر إليه . كما ان متى ويوسيفوس يتحدثان عن ذلك النجم كرسالة من الله لها هدفها وغايتها ...

بقيت لنا فى نهاية هذا الفصل كلمات قلائل عن مذبحة الأطفال فى بيت لحم ، من سن سنتين فأقل ، ومدى صحة هذا الحادث تاريخيا ، ذلك لأن تاريخية قصة النجم ، ترتبط بتاريخية هذا الحادث الأليم ، وخاصة أن متى البشير يقرن الحادثين الواحد بالآخر ... وحسبما ورد فى بشارة متى شاهد البشير فى هذه الحادثة إتماما للنبوة الواردة فى أرميا ( ٣١ : ١٥ ) وقد أوردها بنصها ضمن السطور . وليس من المنطقى أن متى قام بتأليف هذه القصة ليتمم نبوة قديمة . ولماذا أختار هذه النبوة بالذات وكتابات الأنبياء تعج بالنبوات ؟

الا أن البعض من أحبار اليهود ، فى محاولة التشكيك فى حقيقة المسيحية ، حاول أن يوردوا تأويلات خاصة، فقالوا عن القصة بانها أسطورة مسيحية قصد بها المؤلف إثبات مشابهة بين ميلادى موسى وميلاد المسيح . فكما انه عند ميلاد موسى كان مئات الأطفال من ذكور العبرانيين يهلكون وتلتهمهم تماسيح النيل ، هكذا أقترن ميلاد المسيح بمذبحة الذكور الأبرياء ..

على أن نفراً من الملحدين قدم تأويلا آخر فقال : انه فى عصر يوسيفوس ، أى العصر السابق لكتابة بشارة متى ، كان هناك تقليد سائد بأنه لن يولد عظيم إلا على حساب دماء عدد من الأطفال ، وهذا هو الذى دفع كاتب البشارة إلى تأليف روايته .

ولكن من العسير جداً أن نصدق ، وخاصة بالنسبة للعقلية اليهودية ، أن يقوم كاتب باختلاق قصة كهذه — وايسر لنا أن نوقن بأن الحادثة وقعت فعلاً ، ورأى فيها البشير تحقيقاً لنبوة قديمة .

ويعود المتشككون مرة أخرى للاعتراض قائلين « فلماذا لم يذكر يوسيفوس قصة هذه المذبحة ضمن ماذكر عن فظائع هيرودس ؟ »

وقبل أن نجيب على هذا السؤال ، دعنا نتأمل قليلاً فى طباع هيرودس كما يرويها لنا التاريخ ، وخاصة فى السنتين الأخيرتين من حكمه ، فى تلك الفترة التى كان يعذبه فيها الضغط المرتفع ، ومرض تصلب الشرايين ،

ويدفعه الشك القاتل فى نوبات عنيفة إلى إغتيال أقرب أقربائه ، حتى لقد قال عنه صديقه أوغسطوس قيصر « خير للأنسان أن يكون خنزيراً من أن يكون ابنا لهيرودس» . فالخنزير محرم قتله ، ولكن الأبن ليس فى أمان فى ظل أبيه الماكر القاتل.. الذى يتنكر لكل الربط والقيم الأنسانية فى سبيل مصلحته الذاتية . (١)

ولقد أخبرنا يوسيفوس الكثير عن هيرودس الكبير . ومن مجموعة تصرفاته الشاذة انه انشأ مركزا بوليسيا ، فيه يقسم كل مواطن يمين الولاء له ، وكل من اشتبه فى عدم إخلاصه كان الموت نصيبه . وفى فرصة أخرى أمر باغتيال ثلثمائة شخص من رجال حاشيته دفعة واحدة . وفى مرة ثالثة نمى إلى علمه أن البعض من الفريسيين تنبأوا أن مجده سيزول وعرشه سينتهى . فلم يعبأ بمقامهم الدينى عند الشعب وأمر بإعدام كبارهم. ومن بين ضحاياه البعض من أولاده وزوجته. بل إن جنونه قد دفعه وهو على فراش الموت ان اصدر حكم الموت على رب كل أسرة ، حتى تصبح هناك مناحة اجبارية عامة بعد موته فى كل بلاد فلسطين. فهل من الأشياء الغريبة على رجل مثل هذا أن يأمر بذبح حفنة من الأطفال الصغار، فى قرية مغمورة من قرى اليهودية. ضمانا لسلامة عرشه ؟!

---

(١) راجع الفصول الأولى من كتاب « فلسطين كما عرفها المسيح » ..

وكم من حوادث دامية نظير هذه ، أو اكثر قسوة منها ، قد حدثت عند اعتلاء أحد الأباطرة أو القياصرة عرش الملك . أو حينما يحس الجالس على العرش أن الأرض تهتز تحت قدميه .. وهاهو سوتينوس يخبرنا أنه قبيل ولادة اوغسطس قيصر ، استناداً على نبوة قائلة بأن الطبيعة تهيىء نفسها لاستقبال ملك عظيم ، أصدر مجلس السنات ، أو الشيوخ الرومانى ، قراره بأن لا ترضع الأمهات أطفالهن الذكور المولودين فى خلال هذه الفترة لمدة عام كامل . كما يخبرنا المؤرخ عينه عن نيرون أنه قرب نهاية حكمه ، حينما ظهر مذنب فى سماء روما ، قدم للمحاكمة أخلص المقربين إليه بتهمة التآمر على العرش ، كما أصدر حكمه بذبح جميع أطفالهم .

ويقدر الكاتب اليهودى المتنصر « الفريد ادرشيم » فى كتابه « أزمان المسيا » عدد أطفال بيت لحم الذين تتراوح أعمارهم بين عدة شهور وعامين ، وهم ضحايا البطش الهيرودسى ، بما لا يزيد عن عشرة أطفال أو عشرين طفلا على أقصى تقدير ، فهل من الغريب أن يغفل مؤرخ يهودى ذكر حادثة نظير هذه ، إزاء الفظائع الاكثر قسوة التى ارتكبها ذلك الملك الدموى ؟ . وماذا يهم يوسيفوس فى ذكر هذه الحادثة ، فليس فيها أية صلة بخراب الهيكل ولا بسقوط اورشليم . ومن يدرينا ، لعل يوسيفوس قصد أن يغفل هذه الحادثة لما فى ذلك من اضطرار إلى الخوض فى تاريخ المسيحية ، الأمر الذى يكرهه كل يهودى متعصب .

# الفصل الرابع

## بين الصليب والصعود ويوم الخمسين

### تطهير الهيكل :

ليس من اليسير على الباحث تحديد ميعاد تطهير الهيكل. فالبعض يقول بان هذا الحادث تم فى بداية خدمة المسيح الجهارية. والبعض الآخر يحدد وقته فى الأسبوع الأخير من حياة المسيح . ولقد حدده أحد الكتاب[1] فى عيد المظال أى قبل الصلب بستة شهور. واستند فى ذلك على ما ورد فى (مرقس ١٠:١) وقطع الأغصان لعمل المظال حسب الشريعة، كما ورد فى (مرقس ٨:١١) ، والموعد الذى تخرج فيه شجرة التين أوراقاً فقط دون أن تطرح ثمارها . ولكن الرأى الأرجح أن تطهير الهيكل تم فى الأسبوع الأخير من حياة المسيح ، وأنه أدى إلى سرعة البت فى أمره، والتآمر عليه وصلبه.

والأمر الذى يهمنا فى هذا الصدد ، أن يوحنا يسجل لنا فى بشارته

---

(1) T. Madson

حديثاً مباركا للسيد بينه وبين اليهود بعيد حادثة الهيكل [1]. ويرينا كيف أن الجموع احتشدت لسماعه. وهو يسجل لنا أيضاً خلاصة عظته فى القول: « النور معكم زماناً قليلا بعد، فسيروا ما دام لكم النور، لئلا تدرككم الظلمة. والذى يسير فى الظلمة لا يعلم أين يمضى لأن الظلمة قد أعمت عينيه. مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا وأبناء النور». تكلم يسوع بهذا ثم مضى واختفى عنهم. وبعد أن يورد الكاتب نبوة لأشعياء تنطبق على ذلك الشعب الذى « له عيون ولا يبصر، وآذان ولا يسمع » يوالى البشير تقديم مقتطفات من عظة المسيح بلا فارق فى الزمن قائلا: « جئت نوراً للعالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة ».

وهكذا تقترن حادثة تطهير الهيكل بهذه العظة النورانية. فهل من صلة بين الاثنين؟ وما هو الدافع لإلقاء مثل هذه العظة؟ لقد رأينا السيد المسيح فى مرات كثيرة يتخذ من الظروف المحيطة به مادة لمواعظه، فهو يدعو سامعيه للتأمل فى زنابق الحقل الزاهية الألوان فى الربيع، ويناديهم بان ينظروا طيور السماء التى تحوم فوقهم. وأمام أمجاد الوادى التى تشبه أرغفة الشعير يتخذ إستعارة جميلة فى قوله: « من منكم إذا سأله ابنه

---

(١) راجع يوحنا ١٢

خبزاً أفيعطيه حجراً ». وسمك الثعابين يشبه الحيات فيقول « وإذا سأله سمكة أفيعطيه حية ؟ ». وإذ يمر بائع العصافير يتخذ منه إستعارة لعناية الله بأبنائه « فواحد منها ليس منسياً أمام الله ». فهل استقى مسيحنا موعظة النور من حادثة حدثت فى الهيكل بعد تطهيره ؟

إن البشائر لا تذكر شيئاً عن هـذا الأمر ، ولـكن لدينا مصادر ثلاثة تتفق جميعها على حدوث ظاهرة غريبة فى الهيكل ، بعد أن قام السيد بتطهيره ..

ففى انجيل العبرانيين (وهو أحد الأسفار الأبوكريفية غير القانونية) يحدثنا الآب ايرونيموس أحـد آباء الـكنيسة الأولين قائلاً انه فى أثناء قيام السيد بتطهير الهيكل « كانت أشعة نارية تشع من عينيه » . وهذ يفسر خوف التجار منه، وعدم مقاومتهم له، فى الوقت الذى تهدد فيه مصالحهم بالبوار. ويحـدثنا أحد الـكتاب الوثنيين فى ورقة أثرية اكتشفت أخيراً [١] قائلا : «فى الأناجيل التى يستخدمها النصارى ، عند تطهير الهيكل، يقرأون أن أشعة نورانية سطعت من عينيه (أى المسيح) حتى ارتعبوا وركنوا إلى الفرار ».

وهناك مصدران آخران يتحدثان عن ظاهرة النور هـذه ولو

---

(1) Aurora Manuscript

بصورة أخرى، فان كنا نهمل شهادة «ايرونيموس» كحديث أبو كريفى، فاننا لا نستطيع أن نغفل شهادة مؤرخين يختلفان فى العقيدة والدين والجنس والثقافة وكل شىء. فالواحد منهما تاسيتوس المؤرخ الرومانى، والثانى يوسيفوس المؤرخ اليهودى، ولو أن الأول كان معاصراً للاخير، والمعتقد أنه تأثر بكتاباته إلى حد بعيد. وهؤلاء تتفق شهادتيهما بالنص والمعنى. وهذه شهادة يوسيفوس :

» وهكذا أيضاً (١) قبل الثورة التى أدت إلى إشعال نار الحرب، فى ذلك الوقت الذى اجتمع فيه الشعب ليعيدوا عيد الفطير فى اليوم الثامن من شهر زانتكوس (٢) فى الساعة التاسعة من الليل أن نوراً عظيماً أشرق حول المذبح والقدس، حتى بدا وكأن الليل تحول إلى النهار الساطع. وهذا النور استمر ساعة كاملة. ولقد ظن البسطاء أن هذا طالع يمن. ولكن الأحداث القادمة أثبتت غير ذلك ».

هنا حديث واضح عن ظاهرة غريبة حدثت عند تطهير الهيكل.

---

(١) الكلام السابق يشير إلى أن هذه الحوادث تمت قبل وقوع الحرب اليهودية بأربعين عاماً على وجه التقريب أى حوالى عام ٣٠ للميلاد، الوقت الذى يرجح أنه تم فيه الصلب.

(٢) اسم أحد الشهور فى التقويم الصورى والمقدونى يعادل شهر أبريل أو شهر نيسان العبرى، ويرجح أنه فى الثامن من شهر نيسان تمت حادثة تطهير الهيكل.

فهل هناك صلة بين ظاهرة النور، وحديث المسيح عن نفسه كنور العالم؟ أننا نترك الجواب لتقدير القارىء الكريم .

### انشقاق حجاب الهيكل ، والزلزلة المرافقة له :

فى البشائر الثلاث الأولى ، يتفق البشيرون معاً على ذكر حادثة انشقاق حجاب الهيكل ساعة صلب المسيح [1] ، الحجاب الذى يفصل القدس عن قدس الأقداس. فلقد كان فى الهيكل حجابان : حجاب على مدخل القدس ، وآخر يفصل القدس عن قدس الأقداس . ولم يكن مسموحاً لأحد بالدخول إلى قدس الاقداس، أو إجتياز الحجاب الثانى، إلا لرئيس الكهنة، يدخله بدم الذبائح ، مرة واحدة فى السنة ، فى يوم الكفارة العظيم [2] .

« وصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح ، وإذا حجاب الهيكل قد انشق من فوق إلى أسفل » . هكذا يحدثنا البشير مرقس ، وهو لا يستخدم فى ألفاظ بشارته كلمة « انشق » إلا فى هذه المناسبة ، ومناسبة واحدة أخرى، فى بداية خدمة يسوع الجهارية فى فرصة عماده، حينما صعد من مياه الاردن، فاذا بالسماء انشقت وروح الله استقر عليه

---

(١) ( مر ١٥ : ٣٨ ) ( متى ٢٧ : ٥١ ) ( لو ٢٣ : ٥٤ )

(٢) ( خروج ٢٦ : ٣١ )

فى صورة جسمية مثل حمامة. ويبدو أنه فى بداية خدمة المسيح كان هناك إتجاه من الله إلى الناس، وفى نهايتها كان هناك إتجاه من الناس إلى الله، عن طريق الحجاب المنشق الذى يرمز إلى المسيح. وأننا نجد الرسول بولس يستعير من هذه الحادثة عديداً من صوره الروحية الاستعارية الجميلة[1] « فليكن لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذى به لنا الدخول بالايمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون به ». والفكرة عينها نكتشفها فى سفر الرؤيا. وكذلك فى الرسالة إلى العبرانيين[2]، حيث نجد الحديث عن الطريق الحى المكرس بالحجاب الذى يدخل إلى قدس الأقداس، حيث دخل يسوع سابقاً بدم نفسه. ولعل هذا الفكر هو الذى كان يشغل بال المسيح حينما تحدث عن نفسه بأنه الطريق وأنه باب الخراف[3].

ومع إنشقاق حجاب الهيكل، حدثت زلزلة « الصخور تشققت، والقبور تفتحت ». فهل نجد فى التقليد اليهودى، أو فى كتابات يوسيفوس ما يشير إلى وقوع هذه الحادثة؟

فى الحقيقة نكتشف إشارة خفية اليها فى كتابات يوسيفوس، كما

---

(١) أنظر ( أفسس ٢٠ : ١٨ )　(٢) ( عبرانيين ١٠ : ١٩ )
(٣) ( يو ١٠ : ٧ )

نجد إشارة اليها فى التلمود الأورشليمى . والتلمود لم يجمع قبل القرن الثالث للميلاد . ويوسيفوس عاصر الحرب اليهودية ، وامتد به العمر إلى نهاية القرن الأول. وقد يتبادر إلى الذهن أن حديث التلمود مقتبس من الجزء الذى أورده يوسيفوس، ولكن الباحث المدقق، يجد فروقاً فى التفاصيل حيث يمكن أن نتخذ حديث التلمود كشهادة مستقلة. وكذلك لم يغفل المؤرخ تاسيتوس الرومانى ذكر حادثة مشابهة ولو باختصار ضمن ما كتب عن تاريخ اليهود. ويبدو أن تاسيتوس كان صديقاً ليوسيفوس، لأن الاثنين كانا يعيشان فى روما، وسجلا تاريخهما فى الوقت الواحد، ولكن من الثابت أن شهادة هذا المؤرخ الرومانى ، مستقلة عن شهادة زميله .

وهذا حديث التلمود :

« قبل خراب الهيكل بأربعين عاماً[1] انفتحت أبواب الهيكل من تلقاء ذاتها ، حتى وبخ الحبر يوحنان بن زكاى قائلا : أيها الهيكل . . أيها الهيكل . . لماذا تضطرب منزعجاً ؟ أنا أعلم أن نهايتك وشيكة

---

(١) فى موعد يقرب من ميعاد صلب المسيح ، ولدينا التاريخ المؤكد ، فتاريخ الصلب معروف من القرائن الكثيرة، من ولاية بيلاطس وعهد رئاسة قيافا للكهنوت، ومن حسابات الآباء أمثال ترتوليانوس، وأوريجانوس، واكايمندس. وغير ذلك من القرائن التاريخية أمثال حملة الحارث الحربية ومعاركه مع هيرودس .

الحدوث. لقد تنبأ عنك زكريا بن عدو حين قال: افتح يا لبنان أبوابك لتلتهم النار أرزك».

ولكن يوسيفوس يتقدم لنا بتفاصيل جديدة فهو يقول: «وكانت البوابة الشرقية للرواق الداخلى من نحاس سميك للغاية. وحينما كانت تغلق فى المساء كان يقتضى الأمر لإغلاقها قوة عشرين رجلا. وكانت تغلق بالمتاريس والقضبان الحديدية. وكانت لها أذرع حديدية تغوص إلى عمق بعيد فى الصخر الصلد، حتى لا يمكن لأى قوة أن تزحزحها ـ هذه البوابة الجبارة فتحت على مصراعيها فى الساعة السادسة من الليل. وأسرع حراس الهيكل يبلغون الخبر للقائد. فأتى، وبالجهد الجهيد استطاع الجميع أن يعيدوا إغلاقها. ولقد ظن البعض أن هذا فأل حسن للغاية، وافترضوا أن الله قد فتح لهم باب البركات على مصراعيه. ولكن العقلاء أدركوا أن نهاية الهيكل اقتربت، وأن عناصره تنحل من تلقاء ذاتها، وان فتح باب الهيكل يعني تقديمه لقمة سائغة للعدو. فهو نذير بالخراب القادم».

وشهادة المؤرخ الرومانى تاسيتوس لا تختلف كثيراً ولو أنها اكثر اختصاراً.

هنا أمامنا شهادات ثلاث مستقلة عن الأخرى. وكلها تتحدث عن

ظاهرة غريبة حدثت فى الهيكل أثناء صلب المسيح. وشهادة منها تحدد لنا التاريخ أنه فى نفس السنة التى صلب فيها المسيح. ويؤكد يوسيفوس أيضاً بأن هذه الظاهرة قد حدثت فى عيد الفصح اليهودى. ويبدو من تفاصيل قصته أنها صحيحة لا صنعة فيها.

وفى بشارة (متى ٢٧: ٥١) يتحدث البشير عن زلزلة حدثت فى أثناء الصلب مع ظاهرة الظلام المطبق وانشقاق حجاب الهيكل. وبجمع ما ورد فى هذه البشارة مع ما ورد فى البشائر الأخرى، نرى أنه قد حدثت زلزلة، مصحوبة بظواهر طبيعيــة أخرى غريبة كالظلام، والزوبعة، والرعد، وألسنة البرق النارية، طيلة المساء الذى صلب فى نهاره المسيح. ولابد أن الزلزلة قد تسببت فى زحزحة الصخور التى ترتكز عليها البوابة الشرقية، مما نجم عنه إنفتاحها على مصراعيها.

وفى انجيــل العبرانيين ـ وهو أحد الأناجيل الأبوكريفية غير القانونية ـ يخبرنا الآب «ايرونيموس» عن تقليد مشابه حيث ورد به القول ان عارضة أفقية ضخمة من عوارض الهيكل، انشقت وانهارت.

هنا مصادر منوعة أهمها ما ورد فى كتابات أعداء المسيحية، كلها تؤيد حدوث الزلزلة أثناء صلب المسيح، ولو أننا لا ندرى لماذا لم يرد بها ما يشير إلى انشقاق حجاب الهيكل، ولـكن هذا يكفى.

أحد القيامة :

لسنا نجد فى كتابات يوسيفوس عن حوادث ما بعد عيد الفصح ، أى اليوم الذى قام فى فجره المسيح ، سوى حادثة مختلقة مضحكة ، لعل كهنة اليهود قد اخترعوها ليبعدوا أذهان الشعب عن أخبار قيامة المسيح . وهذا نصها :

« فى فترة العيـد ، كان أحدهم قد أحضر معه بقرة كذبيحة ، فولدت حملاً !! »

هذه الحادثة بحسب تقرير يوسيفوس قد حدثت فى يوم ١٦ نيسان ، وهو يوم الأحـد التالى بعد الفصح ، والذى كانت تقدم فيه بواكير المحاصيل . أى أنه يوافق تماماً اليوم الذى قام فيـه السيد من الموت ، بحسب العقيدة المسيحية . ولقد أحسن أحدهم حينما إتخذ من هذه القصة الخيالية مادة للدعاية ، ففال ان البقرة العجوز التى ذبحت وانتهت تشير إلى العهد القديم برموزه وطقوسه . والحمل الذى ولد يرمز إلى « حمل الله الذى يرفع خطية العالم » .

الصعود :

اختلف المفسرون فى تحديد موعـد صعود المسيح ، فبينما البعض

يؤكد أن الصعود تم بعد القيامة مباشرة، ينادى البعض الآخر بأنه تم بعد أربعين يوماً. ونستطيع أن نحسب بدقة ميعاد الصعود. فان كان المسيح قد صلب يوم الجمعة ١٤ نيسان، تكون القيامة تمت يوم ١٦ ويكون الصعود قد حدث يوم ٢٦ أيار. وهو الشهر الذى يلى نيسان بحسب التقويم العبرى. والمهم فى هذا الصدد أن الانجيل يخبرنا بأن يسوع قد صعد أمام أعين التلاميذ إلى السماء حتى أخذته سحابة عن أعينهم، وأن ملاكين قد نزلا بعد ذلك إلى التلاميذ وتحادثا معهم عن مجىء المسيح مرة ثانية إلى الأرض، كما شاهدوه منطلقاً إلى السماء. وفى نفس اليوم الذى يوافق الحادى والعشرين من شهر «أرتمز يوم» حسب التقويم المكدونى الذى يلذ ليوسيفوس استخدامه نجد القول: —

« وأيضاً بعد الفصح ليس بأيام كثيرة، ظهرت ظاهرة عجيبة فى السماء تفوق التصديق. وفى الحقيقة ما سأرويه الآن كان يمكن أن يرفض كخرافة لولا قصص شهود العيان الكثيرين، ولولا المصائب التى تلت ذلك واستحقت التسجيل. لأنه قبل غروب الشمس فى جميع أنحاء البلاد، شوهدت فى الهواء مركبات وجيوش مسلحة تملأ السحب، وتحيط بالمدن ».

فان كان حسابنا صحيحاً، و ٢١ أرتمز يوم يعادل ٢١ أيار، تكون هذه الظاهرة حدثت فى نفس اليوم الذى صعد فيه المسيح إلى السماء

وأننا نجد مشابهات بين قصة يوسيفوس وما ورد فى سفر الأعمال. فقصة سفر الأعمال تتحدث عن السيد وهو يصعد إلى السماء فى السحاب، ولا بد أن الملائكة كانت فى استقباله، وقصة يوسيفوس تتحدث عن جيوش فى السحاب. وفى قول الملاكين للتلاميذ «سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» إشارة إلى أن جنداً من المجد قد أتت وأحاطت بشخص المسيح. وهذا أقل ما ينتظر ملك منتصر صاعد لمجده.

ونحن نقرأ فى أقوال بولس عن المجىء الثانى أن ربنا سيأتى فى موكب ملائكى باهر يرافقه صوت بوق عظيم. فان كان المجىء الثانى سيكون «هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء»، فلا بد أن يكون قد رافق الصعود جيوش ملائكية. نقول هذا استنتاجاً لأن سفر الأعمال لم يشر اليه صراحة. ونعتقد أننا فى هذا الإستنتاج المبنى على شهادة يوسيفوس، وزميله تاسيتوس، وعلى تلميح سفر الأعمال، لن نكون قد جانبنا جادة الصواب. إن ذاك الذى هتف لمولده «جمهور من الجند السماوى»، لا يمكن إلا أن يكون فى استقباله نظير هذا الجمهور الملائكى.

# الفصل الخامس

## الأسينيون والمسيح[1]

لم يكن البدوى محمد ديب يحلم أنه دخل التاريخ حينما كان يبحث عن شاة ضالة بين كهوف البحر الميت . فقد أخذ منه التعب كل مأخذ وهو يصعد ويهبط خلال ساعات طويلة بين كهوف لا نهاية لها، حينما لمح شقاً فى صخرة عليا مقابل وادى قمران، لعلها تؤدى إلى كهف أو نفق .

وظن أن شاته قد تكون اختبأت هناك . فصوب حجراً إلى الداخل، وقذفه بعنف . وبدلا من أن يسمع صدى سقوطه خيل إليه أن شيئاً قد ارتطم به فتحطم . فأسرع بالفرار من المكان ، وأتى باثنين من أقاربه . وصعد الجميع إلى الكهف، ولشد ما كانت دهشتهم

(١) اعتمدنا فى مقدمة هذا الفصل على ما ورد فى كتاب The Bible as History مؤلفه الدكتور ورنر كلر الألمانى الأصل .

حينما رأوا جراراً كبيرة ظنوا أنها تحوى كنوزا ، ولكنهم اكتشفوا أنها لا تحوى إلا رقوقاً مكدسة ملفوفة بالكتان .

وليس المجال هنا مناقشة ما ورد فى هـذه المخطوطات ، لا سيما أنه قد صدر كتاب كامل عنها فى العربية ، ولكننا نقول ان اكتشاف هـذه المخطوطات قد أدى إلى معرفة الكثير عن جماعة الأسينيين، التى يرجح أن أفرادها قد قاموا بنسخ تلك المجموعة الهائلة منها . وأدى أيضاً إلى سؤال تبادر لأذهان بعض العلماء: وهو هل كان المسيح واحداً من هيئة الأسينيين؟ وهل كان متشبعاً بتعاليمها ، لا سيما أنه لم يرد عنه أنه أشار إليها ، أو توجه بالنقد لتعاليمها وأفرادها .

وقد كتب يوسيفوس عن الاسينيين، مثنياً عليهم وعلى تعاليمهم، بل أن مديحه لهم رفعهم إلى درجة أعلى فى القداسة والسمو من كل الذين سبقوهم. كانوا هيئة تشبه الرهبانية يعيشون فى البرارى ، ويمتنعون عن الزواج، ويقومون بأعمالهم بأنفسهم. وحياتهم تشبه الحياة الاشتراكية. وكان لهم ولع شديد بالمعرفة والعلم . ولكن اكتشافات قمران قد ألقت أضواء أكثر عليهم . فقد اكتشف كتاب ضمن المخطوطات، عنوانه « كتاب النظام » . وهو يحلل قواعد وقوانين سلوك هذه الجماعة.

وقد ازدهرت هذه الطائفة قبل مجىء المسيح بما يقرب من قرنين من الزمان ، واستمرت حتى سقوط اورشليم .

على أن هذه الاكتشافات قد دفعت البعض للظن بأن الكثير من تعاليم المسيح ، وتعاليم بولس الرسول ، مقتبس من تعاليمهم . بل لقد وصل البعض إلى حد القول بان التلاميذ كانوا منهم ، وأن يوحنا المعمدان فى حياته البرية الخلوية أحد أفرادهم . ولقد وردت فى كتاباتهم إشارة إلى مسيا يلقبونه « بمعلم البر » .

صحيح أن هناك مشابهات بين العقائد المسيحية ، وبين معتقدات الاسينيين ، ولكن هناك فروقاً كبيرة . وسنعرض لهذه وتلك .

فهم يعتقدون كما نعتقد أنهم شعب العهد الجديد ، وأن أعظم الوصايا هى محبة الله ومحبة القريب ، وأن دينونة العالم ستتم على يدى اثنى عشر شخصاً ، وأن كل واحد من طائفتهم هو ابن للنور . كما أنهم كانوا يقيمون عشاء مقدساً يرددون فيه الصلوات والترانيم ، وكانت لهم معمودية يمارسونها . وكانوا يؤمنون بأن تلك الأيام التى يعيشون فيها هى الأيام الأخيرة حيث يتصارع الخير والشر ، وهكذا ينبغى أن نسرع بالتوبة لأنه قد اقترب ملكوت السموات .

بل أن هناك مشابهة كبرى فى الأسـلوب بين انجيل يوحنا ، وبين « حروب أبناء النور مع أبناء الظلمة » .

ومع ذلك فالخلافات كثيرة نذكر منها :

كان الاسينيون يعتقدون بأن الناموس الموسوى ملزم لهم ، بينما يعتقد المسيحيون بأن عهد الناموس قد كمل فى عهد النعمة .

وكانوا ينادون بأن الخلاص يتم باتباع وصايا موسى ، بينما نعتقد نحن بأن الخلاص بالايمان بالمسيح .

وكانوا ملزمين بترديد أحد الأقسام فى اجتماعاتهم السرية المغلقة ، بينما منعت الأقسام فى المسيحية .

وكانوا ينتظرون ظهور مسيحين : الأول مسيح هارون ، والثانى مسيح اسرائيل ، بينما نادى المسيحيون الأولون بأن المسيا قـد جاء .

وكان للاسينيين رئاسـة وكرسى ، بينما نادى الأولون من المسيحيين بالمساواة بين الجميع .

وكانوا يتزمتون فى حفظ السبت والتقاليد ، بينما اعتقـد المسيحيون بأن الايمان بالمسيح قد حررنا من عبودية الطقوس . وكانوا

ملزمين بالاغتسال قبل الطعام ، ولـكن المسيحية نادت بأن الطهارة هى طهارة القلب .

وكانوا يمارسون وسائل الزهد ، والامتناع عن الزواج ، بينما نادى المسيحيون بقدسية الزواج وكرامته .

وكانت معمودية الأسينيين فريضة وضوء يمارسونها مرتين كل يوم . وفريضة المعمودية المسيحية هى تثبيت وقبول ، وإعـلان اعتراف بالايمان بالمسيح .

ومع أن الأسينيين كانوا يمارسون نوعاً من العشاء المشترك، إلا أن العشاء الربانى المسيحى هو ذكرى آلام السيد .

وكان الاسينيون يؤمنون بمبدأ العين بالعين والسن بالسن فى معاملة الأعداء ، بينما نادى المسيح بالتسامح والغفران .

وطائفتهم طائفة سرية مغلقة ، شأنهم شـأن الماسونية فى وقتنا الحاضر ، ولـكن كنيسة المسيح كانت مفتوحة للجميع .

وكان الاسينيون يحتقرون المرأة . ولـكن الـكنيسة المسيحية رحبت بالنساء جنباً إلى جنب مع الرجال .

على أن أعظم مغالطة هى الاعتقاد بأن معـــــلم البر هو شخص

المسيح . ويبـــدو أن ذلك المعـــلم هو مؤسس طائفتهم . فهو قد نادى بفروض ونواميس أقسى من ناموس موسى ، كما أنه لم يرد عنه أنه صلب ومات وقام من الأموات . وكل ما ذكر عنه انه احتمل آلاماً ، وعـذابات منوعة . بل إن ذلك المعلم لم يتحدث عنه أحـــد بأنه المسيا المخلص ، ولم يقل عنه بأنه سيأتى مرة ثانية . ولعل الأسينيين لم يقصدوا شخصاً معيناً بالذات بهذا المعـــلم ، بل يقصدون كل المعلمين فى كل الأجيال والعصور . ولماذا طبقت على هذا الانسان الحوادث التى مرت فى حيـاة المسيح ؟ أليس لأن المدعين والمنادين بهذا الرأى قد درسوا حيـاته فى نور الحوادث التى مرت بشخص المسيح ؟ . . .

ان البون شاسـع كبير بين المسيحية والأسينية . وليست هناك إشارة واحـــدة فى مخطوطات قمران تؤيد ذلك الرأى الغريب الذى ينادى به البعض . . .

تذييل :

## يهود اليوم ، والمسيح

« نحن نسجد لما نعلم . . . لأن الخلاص من اليهود ». هكذا قال سيد النبيين، ورب المرسلين، فى نقاشه مع المرأة السامرية ...

« لهم العهود والمواعيد والاشتراع ، والآباء والأنبياء ، ومنهم المسيح حسب الجسد » ، هذه خلاصة نظرة بولس لبنى جنسه الذى أظهر إحساسه الفياض من نحوهم حين قال : « كنت أود أن أصير أنا نفسى مرفوضاً . إن كان فى هذا خلاصهم ... »

« هوذا شعب يسكن وحده ووسط الشعوب لا يحسب » .

« ما أحلى مسا كنك يا يعقوب ... كأودية ممتدة . كجنات على نهر . كشجرات عود غرسها الرب » . بهذا ترنم النبى الأممى بلعام قبل مجىء المسيح بأكثر من الف وخمسمائة عام . ثم استطرد فى قصيدته الشعرية التنبؤية مترنماً بمجىء مشتهى الأجيال قائلاً « يبرز كوكب من يعقوب ... فيقوم قضيب ( الملك ) من اسرائيل . . . »

وبعد ذلك التاريخ بمئات السنين كانت هناك سفينة تمخر عباب البحر قاصدة ترشيش . وضمن من كانوا بها ، يونان النبى . وحينما ثارت عليها الأمواج ، ورأى البحارة الوثنيون أن هذا دليل على غضب الآلهة ، استفسروا من ذلك المسافر غريب الجنس ، عن أصله ، وجنسيته . فأجاب « أنا عبرانى .. خائف الرب » .

« أنا عبرانى .. » بهذا القول المتعالى وضع اليهود حول أنفسهم ستاراً عزلهم عن باقى الشعوب والأمم والألسنة ، ليس فى عصر واحد ، بل فى كل العصور والأجيال ، ظناً منهم أن عند الله محاباة لجنس دون جنس ، وأمام سيد الأجيال هتفوا فى تبجح « نحن ذرية ابراهيم » .. وفاتهم أن الله قادر أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم .

لكن ذلك الشعب الذى رفض الإفادة من فرصة النعمة والرحمة ، قد أغلق عليه الباب فى العصيان .. وهكذا انتهى تدبير وعهد ، وبزغ فجر تدبير جديد ، وعهد جديد . لقد انتهى تدبير الناموس ، وبدأ عهد النعمة ، عهد الأمم . لقد حكم عليهم السيد فى مرثاته الشهيرة على أورشليم قائلاً : « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » ، خراباً أدبياً ، وروحياً ، ومادياً .. وقد تم هذا فى حقب كثيرة من تاريخ ذلك الشعب ، ولعله ينتظر إتماماً أقسى فى فترة لاحقة .. ولكن هل معنى

هذا أن صلة يهوه العظيم بشعبه قد انتهت ؟ قد يكون انتهى تعامل الرب معهم كأمة ، وكشعب ، ولكن صلته بالافراد لم تنته بعد . . . فالباب مفتوح أمام كل يهودى ليصبح ضمن قطيع المسيح ... ليصبح من أبناء التدبير الجديد ، وينضوى تحت لواء ذاك الذى رفضوه ، وصلبوه ، وطعنوه ..

عجيب أمر ذلك الشعب الذى رفض سيده ومسيحه ، ليقدمه هدية للآخرين... لقد جاء المسيح « لخراف بيت إسرائيل الضالة »، ولكن شعب إسرائيل ازدرى به ، ورفضه ، وهتف صارخاً « ليس لنا ملك إلا قيصر » . لقد اعترفوا به كملك، ولكن ليس لهم بل للعالم أجمع . وهكذا توجوه بإكليل.. ولكن من الشوك .. وألبسوه رداء قرمزياً ولكن من لون دمه المراق . . ووضعوا صولجاناً فى يمينه ، ولكن من غاب مرضوض اقتلعوه من سفح الجبل . . وثبتوه على عرش ، ولكن بالمسامير . وهتفوا أمامه هتاف المبايعة الساخرة قائلين« السلام يا ملك ». وما دروا أن الاجيال جمعاء إلى نهاية التاريخ سوف تردد نفس الهتاف ، ولكن عن حق ويقين . . لقد قدموا للعالم مليكا ، ولكن بيدين وقدمين مثقوبتين ، وبجنب جريح ، وقلب كسير ــ وفى هذا كان سر مجده ، وخضوع العالم له . . . لقد كانت اليهودية كأعمى وأصم وأبكم فى حفل تتويج مليكها العظيم .

ومنذ القرن الثانى للميلاد ، سرت فى المجامع اليهودية عادة لعن « يسوع المعاق ابن باندير ا » وباندير ا. هذا أو بانثر. يقولون عنه انه ضابط رومانى ، ولا داعى للتعليق ـ فقبل أن تبدأ خدمة السبت كان العابدون يقفون ، وكل واحد منهم عينه على زميله وجاره ، ويردد الجميع كلمات اللعن « ليكن اسمه مباداً ، ويمحى ذكره للابد ». وبالطبع لا يمكن أن ينطق مسيحى بكلمة من هذه التجاديف . وبهذه الطريقة كان يسهل اكتشاف المسيحيين ،وتصب عليهم صنوف الويلات والعذاب بعد أن يطردوا من المجامع وتشطب أسماؤهم .

والآن ما هو موقف يهود اليوم من المسيح ، ومن أولئك الذين يدعونهم للشركة الواحدة ، والإيمان الواحد ، تحت لواء المسيا الواحد؟.

قبل كل شىء علينا أن نعرف شيئاً عن طوائف اليهود فى الوقت الحاضر ، واليهود يتلونون فى غالب الاحيان بالبلد الذى يعيشون فيه . فهناك يهود اليمن ، ويهود الفرس ، ويهود الغلاشا فى الحبشة ، والمارانوس فى أسبانيا ، وبنو اسرائيل الهند ، كما أن هناك يهود المانيا ، وأمريكا . وهؤلاء ، وأولئك تتفاوت لغاتهم وعاداتهم . وفى غالب الاحيان يتكلمون بلغات تختلف عن لغة الشعوب التى تضمهم . ولكن ولا طائفة منهم تتخاطب بالعبرية القديمة ، أو الآرامية التى كانت سائدة فى فلسطين فى عصر المسيح .

على أننا بصورة عامة نستطيع أن نقسم اليهود من حيث الاجناس إلى الفئات الآتية : الاشكنازيم ، أو الاشكنازية وهم اليهود الالمان ، ويتحدثون باللغة اليدية iddish ، وهى لغة رخيصة خليط من العامية الالمانية ، ولهجات أخرى ، بأجرومية عبرية . وليست هذه اللغة قاصرة على اليهود الالمان ، ولكنها لغة معظم يهود أوربا وأمريكا .

ثم السيفارديم أو يهود أسبانيا ، وهم سلالة ضحايا محاكم التفتيش ، ويتحدثون السفاردية أو اليهودية الاسبانية . وهى لغة يتحدث بها يهود تركيا ، وهولندا ، وشمال افريقية .

أما المغربيم أو يهود المغرب ، فهم ينتشرون فى شمال افريقية ، ولغتهم العربية بحروف عبرية .

وطوائفهم الدينية فى عصرنا الحاضر طوائف أربع :

اليهود المحافظون Orthodox Jews ويضمون معظم أجناسهم . وهم يتمسكون بكل ماهو يهودى ، ويقدسون التوراة كالوحى الإلهى المنزل ، كما يقدسون التلمود ، أو كتابات الآباء التى جمعت فى القرن الثانى للميلاد ، كالتفسير القديم الوحيد للتوراة ، والسياج الوحيد الذى يحمى القومية اليهودية . وكثيرون منهم قد اندفعوا للالحاد بسبب جمود التقاليد ، وتمسك طائفتهم بها .

ثم اليهودية المصلحة Ref( rmed Judaism، وقد نشأت وتكونت نتيجة لجمود الأولى. وهى محاولة للتوفيق بين اليهودية القديمة، والفكر الحديث، قام بها المصلح موسى مندلسون، ونجح إلى حد ما فى تحطيم جمود التقليدية الجافة التى تقف فى وجه كل تقدم ورقى. وهذه الطائفة تضم هيئات ذات عقائد متباينة من اليهود المؤمنين المدققين، إلى العقليين والمعطلين. فهم بالرغم من تمسكهم بمظهر العبادة المجمعية، وايمانهم بالإله الواحد، لا يؤمنون بعصمة الوحى، ولا بالإتمام الحرفى للنبوات الخاصة بالمسيا. وتسود بينهم العنجهية الصهيونية، ويتحمسون لما ينادون به كالوطن القومى فى فلسطين.

ثم طائفة الحسيدية أو الحسيديم Chassidim ويزدهرون فى روسيا، وتركيا، وقد تكونت هذه الطائفة على يد الحاخام «اسرائيل بلشيم» فى القرن الثامن عشر. وهى طائفة صوفية العقيدة تعتقد بأن الله قد خص كهنتها الذين تدعوهم بالصديقيم أو بالصديقيين، قوى روحيـة فائقة، وشفاعة نادرة. وللطائفة معابدها، وطقوسها الخاصة، ويتكدس اليهود هناك إلتماساً للبركة من كهنتهم.

ثم الطائفة الأخيرة، وهم اليهود القرائين. وأولئك ينتشرون فى أجزاء من روسيا، والشرق، ومصر. وهم صورة حية ليهود التوراة

القدامى ، يتمسكون بنصوصها ، ويقدسونها ، ويرفضون كل ما عداها من أقوال التلمود وتقاليده . وحينما اتجهت اليهم الإرساليات المسيحية ، وجدتهم اكثر استعداداً لقبول الحق .

فما هو موقف هذه الطوائف من المسيح والمسيحية ؟

ان نظرة يهود اليوم للمسيح ، وبخاصة اليهود المصلحين ، قد تغيرت كثيراً عما كانت عليه منذ ألفى عام ، فلم يعد فى نظرهم « السامرى » الذى « به شيطان » ، الذى « يشفى بقوة بعلزبول رئيس الشياطين » أو « المعلق » « أبشالوم » « الذى لا ينطق باسمه » و « الساحر » الذى تلقن فنون السحر فى أرض مصر . لقد بدأوا ينظرون إلى الذى طعنوه وصلبوه بعين الاعتبار . وكثيرة هى الكتب التى صدرت بأقلام يهودية ، تنادى بسمو تعاليم المسيح ، وتصل إلى حد الاعتقاد بأنه المسيا ، ولو انها تنكر لاهوته . ولكن هذه حالات فردية بين المصلحين ، ولعل أصحابها يستهدفون أغراضاً أخرى يخفونها وراء هذه المحاولات الظاهرية .

على أن عدم اعتراف اليهود بالمسيح كمسيا ، وخاصة المحافظين (١) يرجع فى غالب الأحيان إلى عثرة الصليب « لأن الصليب عند اليهود عثرة » إذ كيف يمكن أن يكون المسيح هو المسيا ، ويعلق على خشبة ؟

---

(1) Orthodox Jews

ومكتوب صريحاً فى النـاموس « ملعون كل من علق على خشبة » ؟ وفاتهم أن هذه اللعنة قد حلت به ليصبح لهم الحق فى البركة « لـكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه مصاباً من الله مضروباً، ومرذولا، وهو مجروح لأجل آثامنا » .

وهناك عائق آخر هو ما يقوم به الحاخاميون من عرقلة أقل معرفة عن المسيح،حتى أن هناك الألوف ليست لهم أدنى علم بشخصه أو تعاليمه. وبدلا من ذلك يلفقون لهم حكايات غريبة تافهة . فيسوع هذا كان يقوم بمعجزاته ، لأنه تسلل إلى قدس الأقداس ، وحصـل على الاسم المقدس ، اسم يهوه ، وأدخله فى جرح صنعه فى عقبه . وفى ليلة القبض عليه،ركع أمامه يهوذا مقبلا قدميه،واستطاع أن ينتزع الاسم المقدس وهكذا فارقته قوته ، وتم صلبه . والأطفال يدربون منـذ صغرهم على البصق على الارض، حينما يرد اسم يسوع أمامهم . هذا فى المجتمعات اليهودية التى يغلب عليها طابع البساطة. أما فى أوساط المتعلمين ، فيلجأ الحاخاميون إلى طرق أخرى. فهم يؤولون الآيات والنبوات التى تتعلق بالمسيح حسبما يلذ لهم.فنشيد الأنشاد تأملات صوفية بين شعب اسرائيل ويهوه العظيم، والآيات النبوية التى تتحدث عن آلام المسيا ،ترمز إلى شعب اليهود ، وما قاسوه من مرائر خلال حقب التاريخ الطويلة.

والحاجز الإجتماعى بين اليهودى والمسيحى، قوى جبار . والويل كل الويل لمن يحاول عبور ذلك الحاجز ، فالذى يعتنق المسيحية يعتبر عند اليهود المحافظين كمن مات وانتهى أمره . وليس غريباً أن يقيم أقاربه مأتماً ويتقبلون التعازى . ويشطب اسمه للأبد من سجـــلات الاسرة ، ولا يكون له أى حق فى الميراث ، أو فى ممتلـكات ذويه .. وأشد طوائف اليهود تعصباً هم اليهود المحافظون وطائفة الحسيدية .

على أن بين اليهود أنفسهم قلة من أعداء الصهيونية الذين يكرهون التعصب الدينى والعنصرى، الذى تميز به هذا الشعب فى تاريخه الطويل. ويكفى أن نقول ان اثنين من كبار مفـكرى اليهود ، اعتنقا المسيحية من قبل ، وكان لهما أكبر الأثر فى تلوين الفـكر المسيحى، وتأييد المسيحية بالمنطق العلمى السديد ،وأعنى بهما اليهودى المتنصر «اميل شرر » وزميله العـــالم الـكبير « الفريد ادرشيم » ، اللذين احتـــلا مكانتيهما فى الادب المسيحى ، وما زالت كتبهما المراجع الاولى التى تـكشف عن العالم اليهودى فى عصر المسيح .

## BIBLIOGRAPHY


1. The Bible as History, by Warren Keller.
2. Josephus and the New Testament, by Hugh M.
3 The Jews in the Christian Era, by Magnus.
4. Everyman Talmud, by A. Cohen.
5. The Old Paths, by McCaul.
6. Life of Christ, by Dean Farrar.